سورة آل عمران

[إثبات التوحيد لله، وإنزال الكتب على رسله]

۞ قال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ
عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ
﴿٣﴾ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ
لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ
شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي
ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ
أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ
مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ
ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي
ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ
﴿٧﴾﴾ [آل عمران: ١-٧]. [١٦]

[شرح١٦] في هذه الآيات الكريمات توجيه للعباد وإخبارٌ لهم =

obeikandi.com

....

= بصحة ما أنزله سبحانه على أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام، وأنه أنزل التوراة والإنجيل، وأنزل القرآن بالحق جل وعلا.

يقول تعالى: ﴿ الٓمٓ ﴾ هذه حروف مقطعة مثل ما تقدم في سورة البقرة.

قال أهل العلم فيها: الله أعلم بمعناها سبحانه وتعالى، فهي حروف افتتح بها سبحانه بعض السور لحكمة بالغة، قيل: ليعلم الناس أن هذا الكلام العظيم الذي أنزله على الرسل هو من هذه الحروف، ففي ذلك عبرة جمع الله بها خيراً كثيراً، وأنزل بها علماً عظيماً. وقيل: إن الله جل وعلا بدأ بها لحكمة بالغة لا نعلمها، هو سبحانه أعلم وأحكم بها.

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ وهذه الكلمة العظيمة هي أصل الدين وأساس الملَّة، فـ«لا إله إلا الله» هي أصل الإسلام الذي جاءت به الرسل؛ فالرسل بُعثوا كلهم بهذه الكلمة، وهي أساس دين الإسلام ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ فهو انقيادٌ لله وتوحيد وإخلاص له، وهذا هو معنى «لا إله إلا الله» أي: =

....

= لا معبودَ بحق سواه جل وعلا، فهو المعبود بالحق، وما سواه معبود بالباطل، كما قال ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الحج: ٦٢]، فبهذا يُعلم أن ما عليه عُبَّاد غيرِ الله كله باطل، سواء كانوا عبدوا بشَراً أو جِنّاً أو ملائكةً أو غير ذلك.

و«الحيُّ القيوم»: اسمان عظيمان يجمعان صفات الكمال، فالحياة والقَيُّوميَّة بها صفات الكمال، والحيُّ مَن له صفات الحياة من سمعٍ وبصرٍ وقيام بنفسه إلى غير ذلك؛ فالله تعالى له الكمال في صفاته وأسمائه جل وعلا؛ فهو حيٌّ لا يعتريه نوم ولا نعاس ولا موت ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وفي الآية الأخرى ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فهو كامل الحياة سبحانه، لا يعتريه في هذه الحياة موت ولا نعاس ولا نوم، ولا غير ذلك من النقص، فله الكمال المطلق في الحياة من كل الوجوه.

وله الكمال المطلق في القَيُّوميَّة، فهو قائم بنفسه غنيٌّ عن خَلقه سبحانه وتعالى، وجميعُ العباد كلهم محتاجون إليه سبحانه وتعالى، بإذنه قامت السماوات والأرض ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ =

obeikandl.com

....

= وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ [الروم: ٢٥]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر:٤١] فهو المقيم لغيره وقائم بنفسه سبحانه وتعالى.

وبيَّن أنه أنزل الكتاب على محمد عليه الصلاة والسلام، وأنه مصدِّق لما بين يديه من التوراة والإنجيل، وأنه أنزل التوراة والإنجيل من قبلُ هدىً للناس، وأنه أنزل الفرقان الذي هو الحق وهو الفرق بين الحق والباطل، فهذه كتب أنزلها الله جل وعلا لبيان الحق وهدي الناس إلى الخير والسعادة، فالتوارة مُنزَّلة على موسى، وهي كتاب عظيم فيه أحكام ومواعظ وذكرى ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة: ٤٤]، وهكذا الإنجيل فيه هدى ونور، وفيه مواعظ أحكام؛ فهما كتابان عظيمان، التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى عليهما الصلاة والسلام، وهناك الزبور على داود عليه الصلاة والسلام، وهناك كتب أخرى أنزلها الله على الرسل عليهم الصلاة والسلام، فيها الشرائع، وفيها الأحكام، =

....

= وفيها العظات والذكرى؛ لكن أعظمها وأكبرها شأناً القرآن العظيم المنزَّل على محمد عليه الصلاة والسلام، ثم التوراة، ثم الإنجيل، ثم الزبور، فهذه الكتب الأربعة نوَّه إليها سبحانه وتعالى لِعِظَمِ شأنها، وبين في الآيات الأخرى أنه أنزل على الرسل كتباً أخرى، أي: على الجميع ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ [الحديد: ٢٥] فالله أنزل معهم الكتب، وأنزل معهم العدل بين الناس، والحكم بينهم بما فيه العدل والنجاة والسعادة في الدنيا والآخرة.

ثم بيَّن بعد ذلك أنه يُصَوِّر العبادَ في الأرحام؛ ليُبين بذلك أن عيسى عليه السلام عبدٌ من عباد الله، مُصَوَّر في الأرحام، فهذه السورة نزلت في كُفر النصارى والرَّدِّ عليهم في تأليههم عيسى عليه الصلاة والسلام، وقد كان مخلوقاً مُصوَّراً في رحم أنثى، فكيف يكون إلهاً؟! تعالى الله عما يقول الظالمون عُلوّاً كبيراً.

وبين سبحانه وتعالى أن المُنَزَّل على محمد ﷺ من الكتاب فيه آيات مُحْكَمات، وفيه أُخَرُ مُتشابهات، فالمحكمات فيها =

....

= الأصول الواضحة البيِّنة التي أوضح الله معناها للناس، وجعلها عُمدةً في بيان الأحكام والرجوع إليها عند النزاع، وهناك آيات قد يشتبه معناها ويَخفى، فيجب أن تُردَّ إلى المُحْكَم وأن تُفسَّر بما يقتضيه المُحْكَم، فبيَّن سبحانه وتعالى أن أهل الزَّيغ يتَّبعون ما تشابه منه ولم يتضح، ويتركون المُحْكَم الواضح؛ لِما في قلوبهم من الزَّيغ، والعياذ بالله. ولهذا جاء في الحديث الصحيح عن النبي عليه الصلاة والسلام: «إذا رأيتم الذين يتَّبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سَّمى اللهُ، فاحذروهم»[1]، فسمَّاهم أهلَ الزَّيغ، فاحذروهم لئلا يُضلُّوكم عن الحق.

فالمُحْكَمات أحسن ما قيل في معناها: أنها الآيات الواضحات المعنى التي ليس فيها اشتباهٌ ولا خَفاء، ومن ذلك مُعظم القرآن؛ فكلُّه مُحْكَمٌ واضحٌ قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، فهي مُتقَنةٌ مُوضَّحةٌ مُبيَّنةٌ ليس فيها خَفاء، وفيها آيات الصلوات، وآيات الزَّكَوات، وآيات الصوم، =

(١) أخرجه البخاري: تفسير القرآن (٤٥٤٧)، ومسلم: العلم (٢٦٦٥).

....

= وآيات المُحرَّمات ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ ﴾ [النساء: ٢٣] إلى آخره، فهي بحمد الله من أوضح الأشياء. ومن هذه المحكمات آيات التوحيد، وآيات الرسالة، وآيات الأسماء والصفات، خِلافاً لمن قال: إنها من المُشتبهات، بل إنها محكمات؛ لأن الله أوضح معناها، فليس فيها شبهة، وليس فيها ما يدل على مشابهة المخلوقين؛ لأنه أوضح أسماءه وصفاتِه سبحانه وتعالى؛ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٧٤] ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ٤] فما بقي اشتباه؛ فهي آيات واضحات فيها أسماء وفيها صفات بيَّنها ربُّنا عز وجل؛ فليس فيها صفات المخلوقين، وليس هناك بعد هذا بيان، فليس لأحد أن يقول بعد ذلك: إن هذه مشتبهة ومن قال مثل ذلك فقد غلط وخالف في التفسير.

فآيات الصفات كُلها مُحْكمات؛ ولكن بالنسبة إلى بعض الناس قد تشتبه عليه لقلَّة معلوماته وقلَّة بصيرته، وإلا فهي =

....

= مُـحْكمةٌ واضحةٌ عند الرَّاسخين في العلم وأهل الإيمان، وليس فيها خلاف.

كما أن الآيات التي فيها الأحكام مفصَّلة مُحكَمة؛ أما ما قد يُشتبه معناه أو يخفى بالنسبة إلى بعض الناس فهذه يجب أن تُردَّ إلى المُحكَم وأن تُفسَّر بالمُحكَم، مثل قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] زعم بعض الناس أنها تدلُّ على عبادة الأولياء، وصرف العبادة لهم، واعتقاد ما لا يجوز إلا لله سبحانه وتعالى، وهذا من أقبح الاعتقاد، ومن أقبح التفسير؛ فهي عند من تَعَمَّد ونظر في آيات الله يجد أنه ليس فيها اشتباه أو خَفاء، وإنما يجد أن معناها واضح؛ وهو الثناء على أولياء الله، وأنه لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، وأنهم أهل الإيمان والتقوى، فأيُّ اشتباهٍ في هذا؟! لكن إذا حَمَّلها ضعيفُ الإيمان أو زائغُ القلب أو الجاهل ما لا تحتمل، فهذا النقص فيه إنما يُردُّ إليه، وكذا التقصير فيه إنما يُردُّ إليه، لا إلى الآية؛ فالآية لِـمَن تَأمَّل وتَعقَّل واضحة؛ فهي ثناء على الله، وعلى الأولياء، وإخبارٌ عنهم بأنهم لا =

obeikandi.com

....

= خوف عليهم ولا حزن، وأنهم أهل الإيمان والتقوى، فأيُّ شيء في هذا يدعو لأن يُعبدوا من دون الله؟ أو يُعتقد فيهم أنهم يعلمون الغيب، أو يتصرَّفون في الكون، أو تُصرف لهم العبادة؟! فهذا تحميلٌ للآية غير ما تحتمل؛ بل هو غلط واضح وظلم في التفسير وباطل من القول.

كذلك حين يُخبر الله عن نفسه بـ«إنّا» و «نحن» و «أنزلنا» ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] إلى غير ذلك، ليس في هذا شبهة للنصارى القائلين بالتثليث؛ فإن الله سبحانه وتعالى هو العظيم الذي لا أعظم منه، ومن عادة العرب أن تأتي بحرف الجماعة للجماعة وللعظيم، فالعظيم يقول: نحن، وفعلنا، وأنزلنا، وأمرنا، والجماعة يقولون ذلك، وهل هناك أحد أعظم من الله سبحانه وتعالى؟ فهو أعظم الأعظمين جل وعلا، وهو مستحق لهذا التعظيم؛ فإذا قال: «نحن» و«أنزلنا» فليس المراد أنَّ معه شُركاء سبحانه وتعالى، حاشا وكلّا، فكيف يُترك المُحكَم الواضح ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣] =

....

= ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٨] ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] إلى غير ذلك، ثم يُقال: إنَّ قولَه: «أنزلنا» و«بيَّنا» و«أمرنا» يدلُّ على أن معه عيسى ومريم؟! هذا من أقبح القبيح، ومن أبطل الباطل، وهكذا مِـمّا أحدثَ أهل الزَّيغ والرَّيب، فهم يأخذون بالمُشتَبِهات ويُفسِّرون على حسب ما أرادوا ويَدَعُون المُحكَمات لمرضٍ في قلوبهم وزَيغ؛ ولهذا ذمَّهم اللهُ ورسوله وعابهم، وأخبر أنهم أهل الزيغ.

فينبغي عليكَ يا عبدَ الله أن تكون على بيِّنةٍ، وأن تُعنَى بالآيات المُحْكَمات، وأن تُفسِّر بها ما اشتَبه عليك، فإذا خَفي عليك آيةٌ في المعنى فرُدَّها إلى الآيات الأخرى الواضحات؛ حتى لا يبقى اشتباه ويتضح الأمر؛ أما أن تَأخُذَها وَحدَها على خَفاءِ معناها بالنسبة إليك، وتَدَع تَأويلَها بالآيات المُحْكَمات، فهذا مِنَ الزَّيغ، ولا حول ولا قوة إلا بالله، والله أعلم.

فإذا أخذنا بعض الآيات من أولها ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا =

....

= ﴿ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] وما أشبه ذلك فإنه يتبين لنا بأنها ليست متشابهة.

وأما ما جاء في بعض أوائل السور مثل: ﴿الٓمٓ﴾، ﴿الٓمٓصٓ﴾، ﴿صٓ﴾، ﴿نٓ﴾، ﴿قٓ﴾، فهذا عند الجمع من أهل العلم حروف أنزلها الله لحكمة بالغة، إذا اشتبه علينا معناها لا نفسرها بشيء يخالف القرآن*.

---

* س: هل التحذير من الذين يتبعون المتشابه ثابت بحديث صحيح؟

ج: نعم هذا ثابت في «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: «إذا رأيتم الذين يَتَّبعون ما تَشابَهَ منه فأولئك الذين سمَّى اللهُ، فاحذَروهم»(١).

س: هل التوراة والإنجيل معمول بهما في الوقت الحاضر؟

ج: لا، انتهى حكمهما؛ وذلك: أولاً: لأن اليهود والنصارى غيَّروا وبدَّلوا فيهما وحرفوا. ثانياً: لأنَّ شريعة محمد ﷺ ناسخة لكلِّ ما قبلها، فأرسل الله محمداً خاتماً للأنبياء، وشريعته خاتمة للشرائع وناسخة لما قبلها ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾[الأعراف: ١٥٨] =

---

(١) أخرجه البخاري: تفسير القرآن (٤٥٤٧)، ومسلم: العلم (٢٦٦٥).

....

= ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [سبأ: ٢٨].

س: يُروى أنَّ عمرَ بنَ الخطاب رضي الله عنه جاء بورقة من التوراة، فلمّا رآها الرسول ﷺ غضب لذلك، فهل هذا صحيح؟

ج: نعم يُروى هذا، والحديث في سنده ضعف، وفيه أنه ﷺ قال: «لو كان موسى حيّاً ما وَسِعَه إلا أن يَتَّبِعَني»[1]، وهو حديث مشهور، لكن ليس سنده بذاك. ثم إن الآيات القرآنية واضحة، وما جاء فيها كافٍ في نسخ هذه الأشياء، وكذا الأحاديث النبوية، فإنه فيها أنه ﷺ رسولُ الله إلى جميع الناس.

س: عبارة التعظيم «نحن» التي جاء بها القرآن على سبيل التعظيم لله جل وعلا؛ هل يجوز للمخلوق أن يقول نحو: «نحن ذهبنا»، «ونحن كذا» وهو مخلوق فرد؟

ج: نعم، إذا لم يُرِدِ التَّكَبُّر، أو جاءت على اللسان عَرَضاً من غير قصد التَّعظيم فليس فيها شيء.

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٨٧)، والدارمي (٤٣٥).

[إن الدين عند الله الإسلام]

۞ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ
ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا
بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ (١٩)
فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ
ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن
تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ (٢٠) إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ
ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ
أَلِيمٍ (٢١) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا
وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ (٢٢) أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ
نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ
فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ (٢٣) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ
إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۖ وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ (٢٤)
فَكَيۡفَ إِذَا جَمَعۡنَٰهُمۡ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا

obeikandl.com

﴿كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٢٥﴾ [آل عمران: ١٩- ٢٥]. [١٧]

[شرح١٧] يبين الله جل وعلا في هذه الآيات الكريمات أحكاماً عظيمةً، وأخباراً مهمةً فيها إرشاد العباد إلى الخير، وتوجيههم إلى أسباب النجاة، وتحذيرهم من أسباب الهلاك، كبقية كتاب الله عز وجل، فإنه فيه الهدى والنور، وفيه الدعوة إلى كل خير، وفيه التحذير من كل شر في الدنيا والآخرة، ومن هذا قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ يوضح سبحانه أن الدين عنده جل وعلا هو الإسلام في الأولين والآخرين، ليس هناك دين آخر، فدين الله واحد هو الإسلام، هو دين آدم، ودين نوح ومن بعده من الأنبياء والمرسلين، وهو دين محمد عليه الصلاة والسلام وأمتِه.

ولهذا قال عز وجل في الآية الأخرى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وفي آية أخرى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فهو سبحانه رضي للعباد الإسلامَ ديناً، وأخبر أنه لا يقبل من أحد ديناً سواه، وأخبر أن الدِّين عنده هو الإسلام. =

....

= والدِّين: هو الطاعة والخضوع والذُّل لله تعالى يكون بالطريقة التي بَعَث بها رسلَه، وأنزل بها كتبَه، ولهذا سماه إسلاماً، وسماه أيضاً بِرّاً وتقوى وهدى وإيماناً.

وسُمِّيَ هذا الدِّين الذي بَعث الله به الرُّسل إسلاماً؛ لِما يتضمَّنه من الانقياد لله، والذُّل له سبحانه وتعالى، والقيام بأوامره وترك نواهيه، هذا يسمى إسلاماً، لأن الإسلام في اللغة العربية معناه: الذُّل للمُسلَم له والانقياد له، يقال: أسلَمَ فلان لفلان: إذا انقاد له.

والإسلام عند الله: هو الانقياد لأمره والذُّل لعظمته، فيُسلِم العبد لله بتوحيده، والإخلاص له، والانقياد لأوامره، وترك نواهيه، والوقوفِ عند حدوده. هكذا يكون الإسلام ذلاً وانقياداً للرب عز وجل بطاعة الأوامر، وترك النواهي، وإخلاصِ العمل لله وحده سبحانه وتعالى، فآدم عليه الصلاة والسلام على الإسلام، وهكذا مَن بعدَه إلى أن وُجد الشرك في قوم نوح، ثم لَـمّا وقع الشرك في قوم نوح بعبادة الصالحين بعث الله إليهم نوحاً عليه =

obeikandl.com

....

= الصلاة والسلام بالإسلام؛ بتوحيد الله، والإخلاص له، والانقيادِ لأوامره، واتِّباع نبيه نوح عليه الصلاة والسلام، وهكذا مَن بَعدَه.

فالإسلام في حق كل أمة هو: ما جاء به نبيها من الهدى يسمى إسلاماً، فمن لم يَنْقَدْ لذلك فقد خرج عن الإسلام، فالذين لم يُصدقوا نوحاً قد خرجوا عن الإسلام، والذين عصوا هوداً وصالحاً وشعيباً وإبراهيم ولوطاً قد خرجوا عن الإسلام. فالإسلام هو اتِّباع الأنبياء فيما جاؤوا به من الشرائع في كل أمة بحسبها، ثم انتهى الأمر إلى خاتم النبيين وأفضلِ عباد الله أجمعين محمدٍ عليه الصلاة والسلام، فصار الإسلام هو ما بعث الله به محمداً عليه الصلاة والسلام من الشرائع والأحكام والأصول العظيمة.

فقد جاء ﷺ بما جاءت به الرسل من توحيد الله، والإخلاص له، والإيمانِ بجميع المرسلين والأنبياء، والإيمان بالآخرة بما فيها من الجنة والنار وغير ذلك، وجاء بشرائعَ وأحكامٍ هي أكمل من الشرائع التي قبلها، صالحةٍ لزمانه عليه الصلاة والسلام، وصالحةٍ =

....

= لكل زمان يأتي بعده إلى يوم القيامة، وهي أيضاً لجميع الأمم، لا تخص العرب فهي لجميع الأمم؛ العرب والعجم على اختلاف أجناسهم ولغاتهم، فهذا الدين لهم جميعاً وهذه الشريعة لهم جميعاً، فعليهم جميعاً أن ينقادوا لله، وأن يخلصوا له العمل، وأن يعظموه كما أمر، وأن ينقادوا للشرائع التي جاء بها كتابه ورسوله محمد ﷺ.

فالإسلام في حق هذه الأمة هو: الانقياد لما جاء به نبيها محمد عليه الصلاة والسلام، مع الإيمان بالله وحده، وتوجيه القلوب إليه، وإخلاص العبادة له سبحانه وتعالى حتى يلقى ربه وهو على هذه الحال. فإذا جحد شيئاً مما أخبر الله به في كتابه، أو أوصى به الرسول ﷺ مما هو معلوم من الدين بالضرورة من واجب أو محرم أو مباح؛ خرج عن هذا الإسلام. وهكذا إذا استهزأ به أو سخر، أو استهان أو استحقر، فإنه بذلك أيضاً يخرج من الإسلام، فالإسلام له نواقض تُخرج العبد منه، فهو أعمال وأقوال وعقائد جاء بها الكتاب العزيز، وجاءت بها السنة المُطهَّرة، يجب على كل من عرفها أن يؤمن بها، وأن ينقاد لها، وأن يعظِّمها وألا يسخر منها أو =

....

= يستهزئ بها أو يحتقرها أو يكذب بشيء منها، فهذا هو الإسلام.

ولما سُئل النبي ﷺ عن الإسلام؟ فسَّره بالأعمال الظاهرة: وهي الشهادتين والصلاة والزكاة والصيام والحج، ويلتحق بها كلُّ ما شرع الله من الأعمال والأقوال، فهي ملتحقة بأركان الإسلام التي ذكرها الرسول عليه الصلاة والسلام. ويلتحق بذلك أيضاً ما يُسمَّى إيماناً، فإنه جاء في النصوص الأخرى ما يدل على تسميته إسلاماً، فقد سمَّى النبي ﷺ الشهادتين والصلاة والزكاة والصيام وأداء الفروض سَمّاه إيماناً، وسمى جميع الدين إيماناً، قال: «الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة»، وفي رواية: «بضعٌ وستون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»[1]، فجعل الدين كلَّه إيماناً، وجعل كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) التي هي أصل الإسلام جعلها أيضاً إيماناً، فالإسلام والإيمان: هو توجيه القلوب إلى الله، والاستقامةُ على ما شرع، محبةً وتعظيماً وإخلاصاً، وأداءُ الفرائض، وتركُ المحارم، =

---

(١) أخرجه البخاري: الإيمان (٩)، ومسلم: الإيمان (٣٥).

....

= والوقوفُ عند الحدود.

يبيِّن بعد هذا أن الذين اختلفوا من أهل الكتاب إنما اختلفوا من بعد ما جاءهم العلم، فلما جاءهم العلم من الله جل وعلا تنازعوا واختلفوا؛ لما في قلوبهم من الميل إلى الرئاسات والأطماع وغير ذلك، حتى اختلفوا في الحق، وتنازعوا فيه، وهذا هو عمل اليهود والنصارى؛ تنازعوا واختلفوا على فِرَق كثيرة، فاليهود على إحدى وسبعين فرقة، والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة. ثم جاء العِلم والهدى لهذه الأمة، فاختلفت أيضاً وتنازعت حتى صارت على ثلاثٍ وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهذه الواحدة هي التي عملت في الإسلام وانقادت له واستقامت عليه، فهي الفرقة الناجية في الدنيا والآخرة، ثم المنحرفون عن هذا الإسلام وهم الثنتان وسبعون فرقة هم أقسام؛ منهم الكافر الذي بلغ الغاية في الكفر بالله، ومنهم مَن دون الكفر، ولكنه عصى فاستحق الوعيد بالنار.

وفي الآيات من التوجيه إلى الخير، والدعوةِ إليه، والتحذير =

....

= من أعمال الكفرة قتلةِ الأنبياء، وفيها التحذير من أعمالهم السيئة وكفرهم وضلالهم. وفيها بيان أحوال أهل الكتاب وإعراضهم عن الحق، وأنهم دُعُوا إلى كتاب الله ليحكم بينهم فأبوا وانحرفوا عن الحق، وزعموا افتراءً على الله أنهم لن تمسهم النار إلا أياماً معدودات، إلى غير هذا مما قَصَّه الله -جل وعلا- عنهم في هذه الآيات وفي غيرها.

ففي كتاب الله الهدى والنور والبصائر لِـمَن تدبَّره وتعقَّله، وفيه الإخراج من الظلمات إلى النور، وفيه التوجيه إلى أسباب النجاة قولاً وعملاً، والتحذيرُ من أسباب الهلاك قولاً وعملاً، وفَّق الله الجميع لما يحبه ويرضاه*.

---

* س: قوله تعالى: ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ [آل عمران: ٢٠]، كيف يقرأ قوله: ﴿اتَّبَعَنِ﴾ عند الوقف وعند الوصل؟

ج: ﴿اتَّبَعَنِ﴾ يوقف على النون بالسكون، مثل: ﴿أَكْرَمَنِ﴾ [الفجر: ١٥] ﴿أَهَانَنِ﴾ [الفجر: ١٦] وأشباهها، وهذه قاعدةٌ عند القراء، في مثل هذا إذا لم تكن فيه ياء يوقف بالسكون، أما إذا كان فيه ياء يوقف على الياء =

obeikandi.com

....

= الساكنه مثل: ﴿فَٱتَّبِعُونِى﴾ وما أشبهه.

س: الذين يدخلون الجنة بغير حساب، هل لهم عدد معلوم؟

ج: كلا، لا أحد يعرف ذلك، أخبر النبي ﷺ أن طوائفَ يدخلون الجنة بغير عذاب ولا حساب، وأن منهم مع كل واحد سبعون ألفاً، لكن ليس لهم عدد محصور، لا يعلم عددهم إلا الله جل وعلا.

obeikandl.com

[التحذير من موالاة الكافرين]

۞ قال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾

[آل عمران: ٢٨-٣٣]. [١٨]

[شرح١٨] قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ =

....

= ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ في هذه الآيات الكريمات يبين جل وعلا أنه لا يليق ولا ينبغي لأهل الإيمان أن يُوالوا أهل الكفر بالله؛ ولهذا قال: ﴿لَّا يَتَّخِذِ﴾ فهذا نهي، والنهي يُصرف إلى التحريم. أي: لا يتخذونهم أصحاباً وأصدقاءً من دون المؤمنين، أو يتخذوهم أحبةً وأهل مودة ونصح ونحو ذلك؛ بل يتخذون المؤمنين أصحاباً وأصدقاء دون الكفرة بالله جل وعلا؛ لأن الكافر لا يؤمَن على دينك، ولا يؤمَن على مصلحتك، فهو حريٌّ بأن يكون بعيداً منك لا قريباً؛ لأنه ليس على دينك، ومن كان ليس على دينك فهو حريٌّ بالعِداء وغمار الشر، والإعانة على كل ما يضر.

قال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ هذا وعيد شديد لمن يتخذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، فليس من الله في شيء، فهو وعيد شديد يفيد الحذر من هذا العمل السيئ.

﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ يعني: إلا أن يفعل ذلك المؤمن =

....

= تُقاةً له من جَورهم وسلطانهم، ويخشى شرهم؛ فيُجاملهم ويُداريهم من باب المُداراة واتقاء الشر، لا من باب المحبة في الباطن، والله يعلم ما في القلوب؛ ولهذا قال جل وعلا: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فالله يعلم ما في القلوب والضمائر ويعلم مَن يواليهم عن محبة وقصد، ومن هو ليس بذلك؛ ويجازيهم على نياتهم.

والموالاة تصنع الحبَّ في القلوب، ثم ينتج عنها موالاة بالنصرة والتأييد والمساعدة على المسلمين، والمعاداة تصنع البغضاء في القلب، ثم ينتج عنها ما يجب من مُقاطعة ومن جهاد ومن غير ذلك؛ فالموالاة والمعاداة تكون بالأفعال، وأصل الموالاة الحب، وأصل المعاداة البغضاء.

فالواجب حبُّ المؤمنين وموالاتهم ونصرتُهم على أعدائهم، والواجب بغضُ الكافرين ومعاداتهم وجهادهم في الله عز وجل حسب الطاقة والإمكان؛ ولـهذا قال في الآية الأخرى: ﴿يَا أَيُّهَا =

....

= ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران:١١٧]، وفي آية أُخرى قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [التوبة: ٢٣]، وهذا كله يبين لنا وجوب معاداة أعداء الله وبغضهم في الله عز وجل، ولو كانوا آباءً أو إخواناً أو غيرهم من الأقارب، ووجوب محبة أولياء الله وموالاتهم وإن كانوا بعيدين منك نسباً وقرابة؛ فالإسلام جمع بين أهله وإن تباعدت أقطارهم وأنسابهم، والكفر يباعد بينهم وإن تقاربت أنسابُهم وأوطانهم.

ولهذا جعل الله سبحانه وتعالى الميراث لمن كان على دين الإنسان وإن كان بعيداً، وجعل قطع ذلك لمن خالف دينه وإن كان قريباً، فابنك وأبوك على غير دينك لا يرثانك، وابن عمك: ومولاك البعيد؛ كابن ابن عمك وابن عم جدك، وأشباه ذلك؛ =

....

= فأولئك في إرثك وإن كانوا بعيدين، وذلك من أجل الإسلام، حتى ولو لم يكن لك أقارب؛ فإن هذا المال يكون لبيت مال المسلمين، ولا يكون لأولئك الأقارب، الذين على غير دينك.

والتَّولِّي: هو الانضمام إليهم ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ﴾ أي: ينضم إليهم ويكون في معسكرهم، أو ينصرهم على المسلمين، وهذه رِدَّةٌ عن الإسلام؛ ولهذا ذكر العلماء في نواقض الإسلام: مُظاهرة المشركين ومُعاونتهم على المسلمين؛ فإن نصرهم وأعانهم على المسلمين، فهذا هو التولي.

والموالاة أوسع من ذلك؛ فيجب على المؤمن أن يحذر التولي والموالاة للكفار، وأن يكون حَذِراً من هذه الأشياء، وبعيداً منها، وأن يوالي المؤمنين، ويحبهم في الله جل وعلا، يرجو بهذا مرضاة الله سبحانه وتعالى.

﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ ومسألة التُّقاة شيءٌ آخر، مثل مسألة الإكراه، قال الله جل وعلا: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]، =

....

= فإذا أظهر لهم بعض الموافقة لتوقي شرهم وخطرهم، لا عن حبٍّ لهم، ولا عن موافقة دينهم؛ فهذا شيء آخر غير الموالاة، وذلك من باب التَّقِية أو من باب الإكراه.

ومن هذا ما يؤثر عن أبي الدرداء ذكره البخاري رحمه الله في بعض تراجمه تعليقاً[1]: «إنا لنَكْشِر في وجوه أقوام وإن قلوبنا تلعنُهم» نَكشر أي: نتبسم أو نضحك لهم وقلوبنا تلعنهم؛ لبغضهم في الله عز وجل؛ لكن نتقيهم؛ إما لسلطانهم، وإما لغير هذا من الأسباب التي توجب اتقاء شرهم، حتى لا يضروا المسلمين، ولهذا قال عز وجل: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ ثم قال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ أي: أن البَهْرَج والشيء الذي ليس له حقيقة لا ينفعكم؛ فالله يُحذِّركم نفسه أن تُظهروا خلاف ما تُبطنون، وأن تشاركوا أهل النفاق في إظهار الحق وأنتم على غيره، فالله يعلم كل شيء ولا تخفى عليه خافية سبحانه وتعالى، ولهذا قال: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا =

(١) علقه البخاري، باب المداراة مع الناس، قبل الحديث (٦١٣١).

....

= ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ وهذا فيه التحذير من محبة أعداء الله وموالاتهم، والأمر بِبُغض أعداء الله ومُعاداتهم، وأن هذا هو دين الله الذي بعث به رُسُله وأنزل به كتبه، ولهذا قال في سورة الممتحنة: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤]، فدل ذلك على أن هذه العداوة وهذه البغضاء أمدُها دخولهم في الإيمان، فإذا دخلوا في الإيمان؛ انتهت هذه العداوة والبغضاء، وصاروا من جملة الأولياء والأحباب في الله سبحانه وتعالى.

ثم يقول جل وعلا: ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ هذا يبين لنا أن جميع أعمالنا سوف تُحضَر يوم القيامة، وسوف تُقدَّم للعبد في كتاب لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها، كل شيء قد كُتب وضُبط، =

....

= فهي محصورة ومحفوظة، فتقدَّم لأهلها يوم القيامة، فأهل الخير يرون في ذلك ما يسرُّهم وما يَحْمَدون الله عليه جل وعلا، وأهل السوء إذا رأوا ما قدَّموا لأنفسهم من الشر، فإن كلَّ واحد يودُّ لو أن بينه وبينهم أمداً بعيداً، حتى يسلم من مَعَرَّتِه ومن عاقبته الوخيمة.

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ﴾؛ فأنت اليوم في غاية الإمكان، وفي غاية القدرة من أن تبتعد عن هذا الشيء الذي تودُّ أن يكون بينك وبينه أمداً بعيداً، وذلك بالجد في طاعة المولى سبحانه وتعالى والاستقامة على أمره، والتوبةِ عن ممارسة الذنوب والمعاصي، والاستمرار في ذلك، فأنت اليومَ في دار العمل، ويومُ القيامة ليس بدار عمل؛ ولكنها دار الجزاء ودار الحساب، فإذا كنت تريد النجاةَ والعافية: فاعمل اليوم في طرق النجاة، وفي أسباب السلامة قبل أن يأتي يوم ليس فيه حيلةٌ ولا تنفع فيه معذرة، يوم لا ينفع الظالمين معذرتُهم، ولهم اللعنة ولهم سوء الدار.

ثم قال: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ =

obeikandi.com

....

= ومن رحمته ورأفته بالعباد: أنه بين لهم ما يجبُ عليهم وما يحرم عليهم، وحذَّرهم نفسه سبحانه وتعالى، فهذا من رحمته وإحسانه؛ حيث أنذر وبيَّن وأوصى وأمر ونهى؛ حتى لا يقول قائل: ما جاءنا من بشير ولا نذير، وما عَلِمنا، وما أُمرنا، وما نُهينا؛ فقد جاء البشير وجاء النذير وجاء البيان؛ فلا يلومن لائم إلا نفسه إذا قصَّر وأعرض وغفل.

ثم يقول بعد هذا: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ هذه الآية عظيمة، وهي تسمى آية المحنة؛ لأن بعض الناس ادعى محبة الله وهو على غير الطريق، فامتحنهم الله بهذه الآية: ﴿قُلْ﴾ أي: قل يا محمد، أو يا أيها الرسول للناس: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، فدل ذلك على أن الدليل والبرهان على صدق المحبة لله هو اتِّباع النبي محمد ﷺ؛ فمن كان صادقاً في حبه لله اتبع رسوله ﷺ، وانقاد لما جاء به من الهدى في الأقوال والأعمال والعقيدة، وأما الدعاوى الطويلة والكلام الكثير؛ الذي ليس له حُجَّةٌ ولا بُرهانٌ يدل على الصدق؛ فإنه لا =

....

= يُجزئ عن أهله شيئاً، فلا بد من بيان، ولا بد من برهان بالعمل وهو اتِّباع الرسول ﷺ في الأقوال والأعمال، والبعد عما نهى عنه قولاً وعملاً، والاستقامة على ذلك حتى تلقى ربك وأنت على ذلك.

هذا هو الدليل على حبك لله عز وجل، أن تستقيم وتثبت على ما جاء به نبيك محمد عليه الصلاة والسلام، وأن تستمر على ذلك حتى تلقى ربك، وأن تبتعد عما نهى عنه؛ كما قال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]، وفي الآية الأخرى يقول جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣-١٤]، فإذا قال: رَبِّيَ الله، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، أو قال: أنا مسلم أو ما أشبه ذلك، فالدليل على صدق ذلك هو الاستقامةُ على طاعة الله ورسوله، بأداء الفرائض، وترك المحارم، والوقوفِ عند الحدود، وأما إذا كانت دعوى من =

....

= دون دليل، ومن دون حجة من الفعل؛ فتجده يخالف أمر الله، ويرتكب محارمَ الله، ويتأخر عن فرائض الله سبحانه وتعالى.

ثم أكَّد ذلك بقوله سبحانه: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ إشارة إلى أن من أعرض عن الله وعن طاعة الله ورسوله فهو من الكافرين، والله سبحانه وتعالى لا يحبُّه، فالدليل على صدق المحبة لله هو اتِّباع الرسول محمد ﷺ، وطاعة أوامر الله ورسوله، وتركُ نواهي الله ورسوله، فمن أعرض عن ذلك، وتابع الهوى والشيطان؛ فليس بصادق في دعواه حبَّ الله ودعواه الإسلام.

ثم بَيَّن الله جل وعلا أنه اصطفى من عباده آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران، واصطفاهم يعني: اختارهم من بَيْنِ عباده؛ فالله يصطفي من الملائكة ومن الناس من يشاء سبحانه وتعالى؛ فقد اختار آدمَ عليه الصلاة والسلام وجعله أبا البشر، وهداه ووفقه ومَنَّ عليه بالتوبة مِنْ زَلَّتِهِ، ثم اصطفى أيضاً نوحاً من ذريته، وجعله أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض، وأنجاه الله من =

....

= الطوفان، ثم اصطفى ما شاء من الأنبياء، إلى أن اصطفى نبي هذه الأمة عليه الصلاة والسلام، فهذه أشياء خص الله بها مَن يشاء سبحانه وتعالى؛ فله الخيار، وله الخِيَرة جل وعلا ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨] من بني آدم ومن غيرهم من الملائكة ومن البلاد؛ كما اختار مكة، وجعلها محلَّ عبادته، ومحل قِبلة عباده، واختار المدينة، وجعلها محل مهاجَرِ الرسول ﷺ، فالله يصطفي من يشاء سبحانه وتعالى*.

* س: رواية أبي الدرداء (إنا لنَكْشِر في وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم) هل هو مرفوعٌ، أم من كلام أبي الدرداء؟

ج: من كلام أبي الدرداء الصحابي الجليل رضي الله عنه.

س: إذا مَرَّ أحدنا في الطريق على النصارى ـ وهم موجودون الآن في الوقت الحاضر ـ هل نُضَيِّقُ عليهم كما في حديث النبي ﷺ؟

ج: معنى الحديث: أن تمشي في وسط الطريق؛ حتى يمشوا على أطرافه، لكن إذا خالفت النظام فلا؛ حتى لا يحدث التصادم؛ أما إذا كان الطريق واسعاً فتأخذ وسط الطريق، وتجعل لهم الأطراف، وهكذا الماشي إن استطاع ذلك. =

....

= س: ما الحكم إذا سَلَّم النصراني أو اليهودي؟

ج: يُرَدُّ عليه بـ «وعليكم»، مثل ما قال الرسول ﷺ.

س: فإن قال النصراني أو اليهودي: (السلام عليكم) كاملةً؟

ج: لا يزيد على «وعليكم».

س:قوله عز وجل: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةً﴾، هل هذا حَدٌّ؟

ج: هذا على من أُكره؛ إما بسوطهم أو بسلطانهم أو قدرتهم، كقُطّاع الطريق وأشباههم.

س: هل يجوز لعن اليهود والنصارى؟

ج: نعم، يجوز لَعَنُ اليهود والنصارى؛ لكن لَعْن المُعيَّن، كأن تقول: فلان بن فلان، هذا محلُّ نظر بين أهل العلم؛ أما لعن اليهود والنصارى ـ بشكلٍ عام ـ فقد فعله النبي ﷺ، فقال عليه السلام: «لعن الله اليهود والنصارى»(١)، وقال تعالى: ﴿فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٨٩]، ويجوز الدعاء لهم بالهداية؛ كما قال النبي ﷺ: «اللهم اهدِ دَوساً وائْتِ بهم»(٢).

(١)أخرجه البخاري: الجنائز (١٣٣٠)، ومسلم: المساجد (٥٣١)

(٢) أخرجه البخاري: الجهاد والسير (٢٩٣٧)، ومسلم: فضائل الصحابة (٢٥٢٤).

obeikandl.com

[عظمة قدرة الله تعالى في قصة
زكريا ويحيى عليهما السلام]

۞ قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٤١﴾﴾ [آل عمران: ٣٨- ٤١]. [١٩]

[شرح١٩] يبين الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات عِظَمَ قُدْرته على كل شيء، وأنه عز وجل على كل شيء قدير، وبكل شيءٍ عليم، وأنه يقول للشيء كُنْ، فيكون؛ كما قال عز وجل: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُۥ إِذَا أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. =

....

= فزكريا عليه الصلاة والسلام لما رأى ما رأى من الرزق الذي يأتي في غير وقته لسيدتنا مريم فيسألها: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧] وجاء في تفسير هذه الآية ـ فيما ذكروا في هذا المقام ـ أنه كانت توجد عندها فاكهةُ الصيف في الشتاء، وفاكهةُ الشتاء في الصيف، فتأتيها أرزاق تُساق إليها في غير أوقاتها المعتادة، وهنالك رأى مِنْ قدرة الله عز وجل ما رأى في إحسانه سبحانه إلى مريم، وسياقه لها بعض الأرزاق التي ساقها إليها في أوقات تخالف العادة.

قال: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾ [آل عمران: ٣٨] أي: انْتَبَهَ لهذا الأمر، وهو أن الله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، وليس يُعجِزُه أن يرزقه ولداً على كِبَر سنِّه، وعلى كِبَر سن زوجته، فهو قادرٌ على كل شيء سبحانه وتعالى، كما هو قادرٌ على سوق الأرزاق إلى مَنْ يشاء من عباده في الأوقات غير المعتادة.

وهو سبحانه قادر أيضاً على أن يرزق الولد مع كبر السن وعقم الزوجة، ولهذا قال جل وعلا: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ =

....

= ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَآءِ﴾ [آل عمران: ٣٨] وعند ذلك رزقه الله جل وعلا الولد، وتقبَّل دعوته ويسَّر له ابنه يحيى عليه الصلاة والسلام.

لما بشرته الملائكة بذلك استنكر ذلك واستغرب، كيف يكون له ولد مع كِبَر سنه، ومع كون امرأته عاقراً عقيماً لا تلد، قد بلغت الكِبَر عتيا، فبين الله سبحانه وتعالى له أنه على كل شيء قدير، يفعل ما يشاء جل وعلا، فطلب آيةً تكون علامة على أن هذه البِشارةٌ سوف تحصل، فبين الله سبحانه الآية ـ أي: العلامة على أن ما بشره به سوف يحصل ـ وهذه الآية: ألا يكلم الناس ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ أي: لا يكلم الناس الكلام المعتاد، ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾ يعني: إلا إشارة، بغير كلام ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١].

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [آل عمران: ٤١] فمن آيات الله عز وجل العظيمة أن جعل لسانه يُعقلُ عن الكلام المعتاد، فلا يستطيعه، لكنه يُسبِّح ربه ويذكره كثيراً بلسانه =

....

= المعتاد، فهو معقول عن الكلام المعتاد، ولكنه مطلَقٌ في ذكر الله وتسبيحه وتهليله سبحانه وتعالى، وهذه من الآيات الدالة على أن المطلوب سوف يحصل، وأن الله جل وعلا هو الذي وعده به، فهو من عنده وليس من عند غيره، وأنه حقٌّ ووعدُ صدقٍ، فالذي قَدَرَ على سَوْقِ الأرزاق في غير أوقاتها، وأعطى إبراهيم ـ الشيخ الكبير ـ ولداً من سارة مع كونها عجوزاً عقيماً كبيرة، فرزقهم الله إسحاق عليه السلام، وهكذا حصل بيحيى بن زكريا، فَوُلِدَ مع كبر سن زكريا، وزوجته عاقر، فربك على كل شيء قدير سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

وكذلك طهَّر مريم وصانها وهداها، وقد استنكرت أن يرزقها الله ولداً من غير أن يمسها بشَرٌ، ومن غير أن تكون بغياً أو زانية، فقيل: ﴿كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ [آل عمران:٤٧] سبحانه وتعالى. فكل هذه من آياته جل وعلا الدالة على قدرته العظيمة، وأنه سبحانه إذا أراد شيئاً فلا رادَّ له، فإنه هو مَن يعلم سبحانه وتعالى، وهو على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم. =

....

= وفي هذا حقُّ العباد في اللجوء إليه، والضراعة إليه، وسؤالِه سبحانه ما يهمهم، وما يحتاجون إليه، وما فيه صلاحهم، ونجاتهم، وأن يحسنوا الظنَّ به، وأن يعلموا أنه على كل شيء قدير، وأنه بكلِّ شيء عليم، وأنه الناصر لأوليائه، وإن كثر عددُ خصومهم، وإن عظُمت قوة خصومهم، فهو سبحانه على كل شيء قدير، يقدر أن يهزم الجُند الكثير بالجند القليل، فـ ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وذَكَر لهم من آيات عيسى عليه السلام الدالة على صدق رسالته من إحيائه الطير بإذن الله، وإبرائه الأكْمَهَ والأبرصَ، وإحياء الموتى بإذن الله، وإخباره لهم بما يأكلون، وما يدَّخرون في بيوتهم، ستةَ أشياء ذكرها لهم للدلالة على صدقه:

أوَّلوها: أنه عليه الصلاة والسلام، يخلُق كهيئة الطير، أي: يأتي بأشياء ويصنعها كصفة الطير، ثم ينفخ فيها، فتكون طيراً بإذن الله، وقومه يشاهدون ذلك.

وكذلك: إبراء الأكْمَهِ والأبرص، وهما مرضان خطيران ليس =

....

= من شأن الأطباء علاجها؛ والأكمه قيل في تفسيره: هو الذي وُلد ضريراً ليس له بصر، وقيل: الأكمه هو الذي ذهب بَصَرُ عَينيهِ ذهاباً لا حِيلةَ للأطباء فيه. والأبرص: هو الذي به برَصٌ ويصعُب على الأطباء علاجه. وبكل حال فهي من آيات الله سبحانه وتعالى لصدق نبيه عيسى عليه الصلاة والسلام، فجعل الله من آيات عيسى عليه الصلاة والسلام ودلائل صحة رسالته: إبراء هذا المرض، وإزالته، فالله عز وجل يقول للشيء: كنْ، فيكون، كما ثبت في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «إنَّ الله جل وعلا ابتلى ثلاثةً من بني إسرائيل: أبرص وأقرع وأعمى، وأزال الله عن الأبرص برَصَه، وعن الأقرع قرَعَه ورد على الأعمى بصره بقدرته سبحانه وتعالى»[1].

كذلك إحياء الموتى، وإخبارهم بما يأكلون في بيوتهم، وما يدخرون، وغير ذلك من الأمور التي ليس عند عيسى خبر منها من جهة المعتاد، ولكنه من خبر الله سبحانه وتعالى، فعيسى لا =

(١) أخرجه البخاري: أحاديث الأنبياء (٣٤٦٤)، ومسلم: الزهد والرقائق (٢٩٦٤).

....

= يستطيع أن يعلم شيئاً من أحوالهم الداخلية إلا بمُخبِرٍ منهم، أو بإخبار الله عز وجل، فالأشياء التي لا يخبرونه بها ولا يخبره بها أحد، يخبره الله جل وعلا بها كي يخبرهم بذلك، وهذه أيضاً من الدلائل على أنه رسول الله، وليس ولداً لله.

وقد انقسمت اليهود والنصارى اتجاهه، فاليهود نفت وأنكرت نبوته ورسالته عليه الصلاة والسلام، وزعمت فيه الزعم الخبيث، وأنه ولد بغِيٍّ ـ قاتلهم الله أنَّى يؤفكون.

والنصارى بضلالهم وجهلهم غَلَوا فيه، وجعلوه ابن الله، أو أنه الله، أو ثالثَ ثلاثة، لعنهم الله جميعاً.

ولا يتم إسلام أحد منهم ولا يصلح حتى يتبرّأ من قول الطائفتين الملعونتين: اليهود، والنصارى، ويأخذ بقول الوَسَط، وهو أنه عبدُ الله ورسولُه، خلقه الله من أنثى بدون ذكر، قال الله له:كنْ، فكان، ولهذا قيل له: كلمة الله، كما قال الله سبحانه وتعالى عنه: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٩] أي: بعيسى. وعيسى ويحيى ابنا خالة، أمهما أختان، فأم يحيى =

....

= وعيسى أختان، ولذلك فإنه يقال لهما: ابنا الخالة، وزكريا زوج خالة عيسى عليه السلام.

ففي هذا كلِّه دلالة على عظيمِ قدرة الله عز وجل، وأنه سبحانه وتعالى المالك لكل شيء، والقادر على كل شيء.

وفي هذا حث العباد على اللُّجوء إليه، وسؤاله، وعدم استعظام الأمور بالنسبة إليه، وأنه يقول للشيء: كنْ، فيكون. فينبغي للعاقل أن يسأل ربه كل شيء، وأن يضرع إليه في صلاح قلبه وهدايته واستقامته على الخير والهدى، وأن يضرع إليه في سلامته من كل سوء، وعافيته من مضلات الفتن، كما يسأله الغنى من الفقر، والنصر على الأعداء، والحماية من كيد الأعداء، إلى غير ذلك مما يهمُّ العبد.

وفيه أيضاً تشجيع العباد على الجهاد في سبيل الله، وألا يَضجَروا من قلَّة عددهم، وكثرة خصومهم، بل عليهم أن يستعينوا بالله، وأن يستنصروه سبحانه وتعالى، وأن يَصدُقوا في ذلك، وسوف ينصرهم الله ويعينهم؛ لأنه سبحانه وتعالى هو القادر على =

....

= كل شيء، فلو قال للعدو: موتوا لماتوا، لكنه ابتلى هؤلاء بهؤلاء، ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤]؛ ليتبين صِدقُ الصادقين، وكَذبُ الكاذبين، وجهادُ المجاهدين، وتأخُّرُ المتأخِّرين، ويتبين من يَرغب في أسباب النجاة، ومَن يريد الدرجات العالية، ومن يتصبَّر على ما يرضي الله، ويقرب لديه من الكسالى والكذابين والمنافقين وأشباههم.

ولو أن كلَّ داع إلى الله، أو كلَّ رسول، أو كل مؤمن أُعطي ما يريد، وكلَّ كافر مُنع مما يريد، لكان الناس كلهم أمة واحدة، ولكانوا على دين الله جميعاً، ولكن بالابتلاء والامتحان انقسم الناس، والله المستعان*.

س: هل رِزْقُ الله سبحانه وتعالى لمريم وهي تحتسب، معناه أنها توكلت على الله حق التوكل، مصداق قول الرسول ﷺ في الحديث: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير؛ تغدو خِماصاً وتروح بِطاناً»[1]؟ =

---

(١) أخرجه الترمذي: المزارعة (٢٣٤٤)، وابن ماجه: الزهد (٤١٦٤).

= ج: على كل حال فلها أسباب ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾ [الطلاق: ٢ - ٣]، فهي من جهة صدق إيمانها وقوة يقينها وقيامها بأمر الله، صَدَّقَها اللهُ بأمور ليست في قدرتها، ساقها الله إليها، فالتوكل الصادق من التقوى.

س: هل من توكُّلِها أن تُرزق بغير حساب؟

ج: إن التوكل من جهة التقوى، فالمتوكِّلون هم من المتقين، والله يقول جل وعلا: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣] ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [الطلاق: ٤]، فالمتقي اللهَ يُرزق ويُصلح أمرُه، وليس معنى ذلك أنه يعطل الأسباب، فليس تعطيل الأسباب من التقوى، ومريم ليست ممن يعطل الأسباب، ولكن الله يسوق لها أشياء بغير أسبابها؛ ليبين فضلها وكرامتها، وليعلم الناس أن الأمور بيده جل وعلا، وأنه سبحانه وتعالى متى أراد شيئاً كان، ولهذا في حديث عمر رضي الله عنه، مرفوعاً: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكُّله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خِماصاً، وتروح بِطاناً». فقوله ﷺ: «تغدو خماصاً» أي: آخذةً بالأسباب في طلب الرزق، و«خماصاً»: جِياعاً، تذهب تطير هاهنا وهاهنا على الجبال والأودية والشعاب، تطلب الرزق، ثم ترجع «بطاناً» =

obeikandl.com

....

= أي: شِباعاً في آخر النهار، قد رزقها الله عز وجل، وأعطاها حاجتها. ومن الأخذ بالأسباب عند الطير: هو أن تطير تطلب الرزق، فلا تبقى في أوكارها.

وأنت كذلك من جملة الأخذ بالأسباب لك أن تخرج من بيتك، وأن تطلب الرزق حسب الطاقة، من البيع والشراء والعمل بالصناعات وفي الملاحة، أو في التجارة، أو بأي شيء مما أباح الله جل وعلا، فلا بد من هذا مع القدرة. وإذا عَجَز الإنسان عن ذلك، ساق الله رزقه إليه بقدرته سبحانه وتعالى، فإنه يرزقه من حيث لا يحتسب، إما بوجود مَنْ يهدي إليه، وإما بوجود أسباب أخرى يترتب عليها رِزقٌ له وهو في البيت، فهو جل وعلا على كل شيء قدير.

obeikandi.com

[قصة عيسى عليه السلام]

۞ قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [آل عمران: ٥٢-٥٥]. [٢٠]

[شرح٢٠] فقد ذكر ﷻ شأن عيسى عليه الصلاة والسلام، وشأن الذين كفروا به، وشأن الذين اتبعوه، وبين ﷻ أن الأنصار ـ وهم الحورايون ـ أجابوه وتابعوه، وأنه بعد ما ظهر من بني إسرائيل الكفرُ به والمعاداة له وإنكار نبوته رفعه إليه جل وعلا وكفاه شرهم، ووقاه بلاءهم. =

....

= يقول جل وعلا: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ يعني: لـمّا علم عيسى عليه السلام من بني إسرائيل الكفرَ وعدم الإيمان به ـ فإن اليهود عادوه، وكفروا به، وزعموا أنه ولد بَغِيّ، ولم يصدقوا بما جاء به من الهدى عليه الصلاة والسلام، وكفروا بذلك مكابرة منهم؛ فعليهم لعائن الله المتتابعة.

فلما رأى ذلك منهم ﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يعني: من ينصر دين الله ويتابعني في نصر دين الله، فقال الحواريون ـ وهم الأنصار والأتباع الصادقون ـ: نحن أنصار الله، والحوراي هو الناصر، ومنه الحديث الصحيح في قصة الزبير، «لكل نبي حورايٌّ وحواريَّ الزبير»[١] يعني: الناصر الخاص المتفاني في النصرة، ومنه الأنصار ـ الأوس والخزرج ـ الذين أووا المسلمين، ونصروهم، وجاهدوا في سبيل الله، وصدقوا فيما عاهدوا الله عليه رضي الله =

(١) أخرجه البخاري: الجهاد والسير (٢٨٤٦)، ومسلم: فضائل الصحابة (٢٤١٥).

....

= عنهم وأرضاهم.

وكل من ناصر الدين في أي مكان، وفي أي زمان؛ فهو من الأنصار في المعنى؛ وليس خاصًا بالأوس والخزرج، ولا بالحواريين في عهد عيسى، ولكن كل من نصر الحق وجاهد في سبيله؛ فإنه في الحقيقة من الأنصار، وله الفضل العظيم في ذلك، وكلما اشتدت الغربة، وقَلَّ من يساعد على الحق؛ صار فضل الأنصار أكثر وأكمل، فمن عادى الأنصار وأبغضهم، فذلك علامة نفاقه، ومن أحب الأنصار، ونصرهم، وأيدهم، وسار في ركابهم فذلك علامة الإيمان، ومن ذلك الحديث الصحيح، «آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار»(١).

وإن كان هذا في الأنصار المعروفين وهم الأوس والخزرج ولكنه في المعنى يعمهم، ويعم غيرهم في كل زمان وفي كل مكان، فمن الإيمان حب من نصر دين الله، وموالاته، وإعانته، ومن علامات النفاق بغض من نصر دين الله، وعاداه. في كل زمان وفي =

(١) أخرجه البخاري: الإيمان (١٧)، ومسلم: الإيمان (٧٤).

....

= كل مكان.

وفي هذا حث وتحريض على نُصْرَةِ دين الله، والتأسي بالأخيار، والحذر من صفات الأشرار الذين من شأنهم إنكار الحق والكفر به، ومتابعة الهوى والشيطان، كاليهود وأشباههم ممن عرف الحق وأنكره، وابتغى العيوب لأهل الإيمان، وآثر حب العاجلة.

فمَنْ جحد الحق لهوًى في نفسه؛ فإنه مشابه لليهود في هذه الحادثة، والله أعلم، ومن نصر الحق وأيده وجاهد في سبيله، وآوى أهله، فقد شابه الأنصار من الأوس والخزرج، ومن قبلهم من أنصار دين الله؛ فله من الفضل، ومن الأجر بحسب ما قام به من نصر دين الله جل وعلا.

وفي قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ دلالة على أن الله قبض عيسى إليه ورفعه إليه، وقد جاءت الأحاديث صريحة في ذلك متواترة مستفيضة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، بأنه رفع عيسى لما تعدى عليه بنو إسرائيل، واستثاروا عليه مَلِكَ زمانهم، وأرادوا قتله حتى خلصه الله من =

....

= شرهم، وأنجاه من بين أظهرهم برفعه إليه ﷻ.

وقوله: ﴿ مُتَوَفِّيكَ ﴾ يعني: قابضك، والتَّوَفِّي هنا ليس هو الموت ولكنه القبض، ويقال: توفى نصيبه من كذا، واستوفى نصيبه من كذا، يعني: قبضه، ومنه: توفى المكيال، أي: قبض المكيال، فالتوفي والاستيفاء بمعنى القبض.

وقد فُسِّرت هذه الكلمة بثلاثة معان: بالنوم، وبالموت، وبالقبض الذي هو الرفع، وأصح الذي قيل فيها وفي أمثالها أنه القبض، يعني: قبضه إليه ونقله إليه ﷻ؛ فالله قبضه إليه ونقله إليه، ثم يليه القول بأنه وفاة النوم، فأخذته سِنَةٌ من النوم عند رفعه، ثم أفاق منها بعد الرفع عليه الصلاة والسلام.

أما القول بأنه الموت، فهو قول ساقط لا وجه له، وهو مما يتشبث به القاديانيون وأشباههم ممن زعم أن عيسى مات، وأن القادياني هو خليفته وهو الذي جاء بعده يكمل النبوة، فهذا من الكلام الساقط الذي لا وجه له.

فالمقصود أنه عليه الصلاة والسلام رفعه الله إليه كما قال: =

....

= ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ [سورة النساء: ١٥٨] فهو مرفوع إليه، وسُمِّي الرفع تَوفيًّا؛ لأنه من القبض، وهو قبض الشيء وإحرازه، فالله جل وعلا قبضه إليه، ورفعه إليه، وليس المراد الموت؛ ولهذا أخبر في الآية الأخرى:

﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾، ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡ﴾ [سورة النساء: ١٥٧] وقد ذيلها الله ﷻ بقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [سورة النساء: ١٥٨].

فالمقصود أنه رُفع إلى الله جل وعلا، وصار في السماء، وقد جاءت الأحاديث الصحيحة واضحة في أنه مرفوع، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام لقيه في السماء الدنيا مع يحيى بن زكريا، وأخبر في الحديث الصحيح، أنه رُفع إلى السماء، وأنه ينزل في آخر الزمان، وأن وجوده في آخر الزمان علامة من علامات الساعة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ [سورة الزخرف آية: ٦١].

فالـمقصود أنه ينزل في آخر الزمان، وقد رُفع لما تُعُدِّي عليه =

....

= وأراد اليهود قتله، فرفعه الله وخلصه منهم، وسوف ينزل في آخر الزمان، وهو من علامات الساعة، وسوف يقتل الدجال، ثم يموت بعد ذلك، كما في قوله جل وعلا: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [سورة النساء آية: ١٥٩].

فالموت لا بد منه وسوف يقع ويحصل؛ لكنه بعد نزوله، وبعد حكمه بشريعة محمد عليه الصلاة والسلام فترة من الزمن، وقد جاء في بعض الروايات أنها سبع سنين، وجاء في رواياتٍ أخرى أنها أربعون سنة.

فهو سينزل ـ عليه السلام ـ، وسوف يحكم بشريعة محمد ﷺ، ويقود الناس للجهاد، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ولا يقبل من الناس إلا الإسلام أو السيف؛ كما جاءت بذلك الأخبارُ عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، فهذا هو الحق في أمر عيسى عليه الصلاة والسلام.

والحق فيه أنه مثلما قال الله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ [آل عمران: ٥٩] فكما أن آدم خُلق من تراب، وأوحى الله =

= إليه، وجعل له شريعة يسير عليها، فعيسى عليه الصلاة والسلام كذلك، خلق من أنثى بلا ذكر، فكما أن آدم لا يُستنكر ولا يمكن التكذيب بأنه خلق من تراب من دون أب ولا أم؛ بل من تراب، فعيسى لا يُستنكر أيضًا أن يكون من أنثى بلا ذكر؛ لأن هذا أسهل وأيسر من وجود آدم من تراب ـ بلا أب ولا أم ـ.

والله جعل الناس أقساماً أربعةً، وبوجود عيسى تَـمَّت القسمة:

القسم الأول: وُجد من تراب بلا أب ولا أم.

القسم الثاني: خُلق من ذكر بلا أنثى، وهي حواء خلقها الله من آدم ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١].

القسم الثالث: خُلق من أنثى بلا ذكر على عكس حواء؛ فحواء من ذكر بلا أنثى، وعيسى من أنثى بلا ذكر، بقدرته تعالى خلقهما بقوله: كن، فكان.

القسم الرابع: بقية الناس من ذكر وأنثى كما قال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ [سورة الحجرات: ١٣]. =

obeikandi.com

....

= هذه حال الناس في هذه الأقسام الأربع، وبوجود عيسى تَـمَّت القسمة الرباعية، وربُّك على كل شيء قدير ﷻ، وهذه من آياته الدَّالة على قدرته العظيمة، وأنه يقول للشيء: كن، فيكون.

وأيُّ شيء يُستنكر من هذا؟! فليس وجود الذَّكر لحمل الأنثى أمرًا مُتحتِّماً؛ بل قدرة الله ﷻ شاملة له، وفي قدرته سبحانه أن يُوجِد أنثى بلا ذَكر، وذَكراً من أنثى، ويُوجِد أنثى من ذَكر، وذَكراً بلا أنثى، كل هذا وقع منه ﷻ، كما وقع في قدرته جل وعلا إيجاد إنسان بلا ذكر ولا أنثى؛ بل من التُّراب وهو آدم أبو البشر عليه الصلاة والسلام، ثم البقية من ذكر وأنثى؛ فالله على كل شيء قدير، وهو بكل شيء عليم.

وفي هذا دلالة أيضاً على أن أتباع عيسى هم المنصورون إلى يوم القيامة، وأتباعه ـ كما قال أهل العلم ـ هم أتباع محمد عليه الصلاة والسلام، وهم الذين صدقوه وآمنوا بأنه رسول الله عليه الصلاة والسلام، وأنه عبد الله ورسوله وأنه خُلق من أنثى بلا ذَكر، وأنه لا أبَ له؛ فهم أتباع محمد عليه الصلاة والسلام، والطائفة =

....

= القليلة التي تابعته عليه الصلاة والسلام، ثم أوذيت، هؤلاء هم أتباعه عليه الصلاة والسلام، فأتّباع عيسى هم الذين تابعوا محمداً عليه الصلاة والسلام، وجعلوا وجوده آية من آيات الحق، ودلالة من دلالات الحق الذي بعث الله به نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام، وفي الآيات فوائد معلومة لمن أرادها*.

---

* س: هل هناك مكان معين لدفن عيسى عليه السلام؟

ج: يُروى في بعض الأحاديث ولكن في صحته نظر أنه يدفن في الروضة النبوية عليه الصلاة والسلام؛ لكن لا أعلم في ذلك شيئًا ثابتًا؛ إنما يقال هذا؛ فقاله ابن كثير وغيره؛ لكن ما أعلم سندًا متصلًا أنه سوف يدفن في الروضة النبوية، وهذا لا يُعْتَمَد عليه، والله أعلم.

س: وهل هناك مكان معين لدفن المهدي؟

ج: فيه أحاديثٌ كثيرة منها الضعيف، ومنها الموضوع؛ ويوجد أيضًا عِدَّةُ أحاديث صحيحة جيدة، وسوف يخرج المهدي كما جاء في الأحاديث، ويملأ الأرض قسطًا وعدلًا، بعدما ملئت جورًا.

والأشهر والأكثر من أهل العلم على أنه يكون قبل عيسى عليه الصلاة والسلام ـ هذا هو المشهور عند أهل العلم من قول الجمهور ـ أنه يخرج =

....

= ويوجَد قبل عيسى عليه الصلاة والسلام، وأنه يُطلَب ويُسعى له حتى يُبايَع، وقد جمع في هذا جمع من أهل العلم أحاديث، ومنهم أبو داود رحمه الله، جعل له كتابًا مستقلًّا في كتاب «السنن»: (كتاب المهدي)، وجمع غيره في ذلك أحاديث المهدي عليه الصلاة والسلام، فجُمع فيه أحاديث؛ لكن مجموعها فيها الضعيف، وفيها الصحيح، وفيها الحسن، وفيها الموضوع.

من ذلك حديث ابن مسعود و-حديث علي، وحديث أم سلمة، أحاديث جيدة في هذا الباب، في قصة المهدي.

س: وما معنى الحديث الذي فيه: «يصلحه الله ﷻ في ليلة»؟

ج: يعني: يتم الله أمره، ويقضي أمره، ويُبايَع له في ليلة، وهذا أحسن ما قيل فيه.

س: يوجد بعض من أنكر هذا الحديث وضعَّفه؟

ج: كل بحسب علمه، وصار أنه خفي عليه الأمر، مثل مَن قد ينكر بعض الأحاديث الأخرى الصحيحة، وصار أنه يُردُّ عليه، ويقال له: قد غلط وأخطأ.

س: إن الذي أنكره وضعفه من العلماء المعاصرين.

ج: من أنكر هذا من أهل العلم، يقال له: إنه غلط، أو تأوله على أنه من قول الرافضة، أو من أقوال الشيعة، وهذا غلط أكبر وأقبح. =

....

= يقال: المهدي شخص من بيت محمد ﷺ، يقال له محمد بن عبد الله يواطئ اسمه اسم النبي ﷺ، واسم أبيه اسم أبيه؛ فهو من أهل البيت وهذا ثابتٌ عن النبي ﷺ.

أما زمان خروجه، فالأشهر أنه قبل عيسى، وجاء في بعض الأحاديث أنه أمير الناس عند خروج عيسى عليه الصلاة والسلام، ولكن ليست الأحاديث في تحديد أنه قبل عيسى بواضحة، وفيها حديث لا بأس به رواه الحسن عن أبي أسامة، وهو غير شاهدٍ له ولكن ليس في القوة والجودة مما يُعْتَمد عليه.

فالحاصل والأقرب، أنه قبل عيسى، وأنه أمير الناس عند نزول عيسى وأن الحال في زمانه ـ مثل ما قال النبي ﷺ ـ تستقيم ويملأ الأرض قسطًا وعدلًا بعدما ملئت جورًا. ولكن كون ذلك أمرًا قطعيًّا قبل عيسى، فيه نظر، فقد يكون بعد عيسى عليه الصلاة والسلام، لكن الأغلب والأكثر من أهل العلم على أنه قبل عيسى، بعد تغير الأحوال مثل وقتنا الآن تتقارب الآن لأن الأرض ملئت الآن جورًا وشرًا وكفرًا وضلالًا في غالبها، ولم يبق إلا قليل، فالزمان مقارب أن يكون وجوده قريبًا على ما قاله الجمهور، ثم بعده يخرج الدَّجّال، فينزل عيسى عليه السلام إلى قتاله.

س: وما الأرجح من مكوث عيسى أربعين سنة أو سبع سنوات؟ =

obeikandl.com

....

= ج: الأقرب سبع سنوات، والحديث في صحيح مسلم[1].

س: وكم يبقى حكم المهدي؟

ج: الله أعلم، لا أعرف، وأذكر هنا أخونا الشيخ عبد المحسن العباد رئيس الجامعة الآن؛ فقد جمع مقالًا جيدًا وافيًا طُبع في مجلة الجامعة، جَمَعَ غالب ما في الباب من الأحاديث، وكذلك أخونا التويجري في إتحاف الجماعة، فقد جمع أشياءً كثيرةً في هذا الباب يمكن أن يستفاد منها فائدة كبيرة، وما ورد في ذلك يمكن لطالب العلم أن يتتبعها ممن خَرَّجها؛ فيستفيد من هذا فائدة كبيرة بالتدبر.

س: ما حكم رفع العَلَم الذي يرمز إلى صلب المسيح موازياً للعَلَم الذي كُتِب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله؟

ج: هذا ممنوع ولا يجوز؛ فالظاهر أنه يستفاد منه أنه نوع من التصديق؛ فلا ينبغي مثل هذا ولا يجوز، لا يجوز رفع هذا العلم، اللهم إلا إذا كان رفعه الأقربَ في دفع شر أو ضرر، فيمكن؛ لكن ينبغي في هذا عدم المجاملة، وينبغي عدم رفع شيء فيه الصلب؛ لأن الصلب باطل ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ [سورة النساء: ١٥٧].

(١) برقم (٢٩٤٠).

[من مواقف أهل الكتاب]

۞ قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ
بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ
بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا
مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ
وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾
هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا
لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ
يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ
﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ
يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ
ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ
ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ
﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ

obeikandl.com

ءَامَنُوا وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤- ٧٤]. [٢١]

[شرح٢١] يبيِّن الله سبحانه وتعالى كثيراً من حال أهل الكتاب ودَعواهُم ما ليس لهم به عِلمٌ، وتلوُّنَهم في المُضارَّة لأهل الإيمان والتلبيس عليهم، وكَتْمَ الحق الذي عندهم؛ ليُضلوا الناس عن الهدى، ويلبسوا عليهم حقهم بباطلهم، وهذا شيء معروف من أعمال أهل الكتاب ولاسيَّما اليهود؛ لأنهم أكثر الناس في هذا فساداً وضلالاً وتلبيساً.

ففي هذه الآية الكريمة: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ الآية، يأمر الله سبحانه وتعالى نبيَّه ﷺ أن يقول لأهل الكتاب: ﴿تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ وهذه الكلمة هي كلمة التوحيد: «لا إله إلا الله»؛ فإن الواجب على جميع أهل الأرض أن يكونوا فيها سواء، وأن يعبدوا =

....

= الله وحده، وأن يَتبرَّؤوا من عبادة ما سواه جل وعلا.

ولهذا كتب بهذه الآية النبيُّ عليه الصلاة والسلام إلى هِرقلَ عظيمِ الرُّوم يدعوه إلى معناها، وهو الإجابة إلى توحيد الله والإخلاص له، وترك ما عليه أهل الكتاب من الشرك بالله: من عبادة غير الله، من عبادة العُزير أو المسيح أو الأحبار والرُّهبان وغير ذلك، ودعاهم لأن يوحِّدوا الله وحده ويَتبرَّؤوا من الشِّرك به جل وعلا، وأن يُسلموا وُجوهَهم وأعمالهم له سبحانه وتعالى، ولكن القوم أَبوا وعاندوا واستكبروا وتابعوا الهوى.

وكان النبي ﷺ يقرأ في سُنّة الفجر في الركعة الأولى قوله سبحانه: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٦]، وفي الركعة الثانية بهذه الآية: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾، وما ذاك إلا لأن هاتين الآيتين فيهما توحيد الرُّبوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الإلهية؛ ففي الآية الأولى: توحيد الله والإخلاص له، والإيمان به وبرسله وبكتبه وبجميع ما أُنزل على الأنبياء، وعدم التفريق بينهم، والانقياد لما جاؤوا به. وفي الثانية: =

....

= التصريح بالبراءة من عبادة غير الله ومن الشرك بالله عز وجل، وأن نكون نحن وغيرنا سواء في ذلك، نعبد ربَّنا وحده ونتبرأ من عبادة ما سواه سبحانه وتعالى، ولا نتخذ من دونه أرباباً نعبدهم معه ونطيعهم في غير طاعته سبحانه وتعالى.

ثم يبيِّن بعد ذلك مُحاجَّة اليهود والنصارى في الحق، وزَعْم كلٍّ طائفة أن إبراهيم منها، وأنها أولى بإبراهيم عليه الصلاة والسلام، ويبين جل وعلا أن أولى الناس بإبراهيم أتباعه مِن أيِّ جنسٍ كانوا، فأولى الناس بإبراهيم وبالأنبياء هم أتباعه على الحقيقة، فأتباع إبراهيم وأتباع النبي محمد ﷺ هم أولى الناس به، سواء كانوا من أقاربه أو من قبيلته وعشيرته، أم كانوا من أناس أو طوائف آخرين. فالمقصود هو اتِّباع الحق وإيثاره على ما سواه، ولهذا قال عز وجل: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، فأولى الناس بالأنبياء هم أتباعهم والمقرُّون بما جاؤوا به من الشرائع، والمجتمِعون على الحق الذي دعوا إليه، وأولى الناس بمحمد عليه الصلاة والسلام، هم =

obeikandi.com

....

= أتباعه وأنصاره سواء كانوا من العرب أو من العجم، فمَن كان تابعاً لشريعته معظِّماً لها وسار عليها فهو أولى الناس به ﷺ.

وفيه بيان أن اليهود ـ بقيَّة أهل الكتاب ـ يحرصون على إضلال الناس، وعلى إغوائهم، وعلى إدخال الشرك عليهم؛ ولهذا قالوا: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ فدَعوا الناس إلى أن يؤمنوا أول النهار ثم يكفروا آخر النهار ويقولون: ما وجدنا ما عندهم مناسباً للحق أو موافقاً له، حتى يقولوا: جرَّبنا ونظرنا فما وجدنا ما يدل على الحق الذي ادَّعَاه محمد عليه السلام، فيكون هذا أبلغ في الإضلال والتشكيك وهذا من ضلالهم وكَيدِهم، أن يدخلوا في الإسلام أولَ النهار ويُظهِروا أنهم من أهله، ثم في آخر النهار يَكفرونَ ويَقولون: ما وَجدْنا المطلوبَ؛ نسأل الله السلامة.

والمقصودُ من هذا: التحذيرُ من طرائقهم ومن أخلاقهم ومن صفاتهم الذَّميمة، وأنه ينبغي للمؤمن أن يَحذَر صفاتِهم الذَّميمة وأخلاقَهم المنحرفة، وأن يكون مع الحقِّ أينما كان، ويَثبُتَ عليه، =

....

= وأن يَحذَر الباطل وأهلَه في أيِّ وَقتٍ كان وفي أيِّ مكانٍ كان. والله المُستعان.

obeikandl.com

[الميثاق المأخوذ على الأنبياء]

۞ قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ
أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ (٨٠) وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ
النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ
مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ۚ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ
عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ
الشَّاهِدِينَ (٨١) فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ
(٨٢) أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣) قُلْ آمَنَّا
بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ
وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ
مُسْلِمُونَ (٨٤) وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ
فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥) كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا
بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَاللَّهُ لَا

obeikandl.com

﴿يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٨٦﴾ [آل عمران: ٨١- ٨٦]. [٢٢]

[شرح٢٢] في هذه الآيات بيان أَخْذِ الله الميثاق على الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ أن كل رسول يدرك رسولاً يأتي بعده أنه ينصره ويؤمن به ويؤيده، هكذا من أولهم إلى آخرهم، وأنهم قد اعترفوا بذلك وأقرُّوا والتزموا به ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وهذا يبيِّن أنه جل وعلا أوصاهم بهذا وألزمهم به، وأخذ عليهم الميثاق بذلك، وفي هذا التعاون على البر والتقوى، والتعاونُ على إظهار الحق والتواصي به، حتى يكون الناس على بيِّنة وبصيرة، مما تأتي به الرسل عليهم الصلاة والسلام.

ومن ذلك أَخْذُه الميثاقَ على الرُّسل: إنْ بُعث محمَّدٌ ﷺ وهم أحياء أن يصدِّقوه ويؤمنوا به، قال علي وابن عباس رضي الله تعالى عنهم: إن الله أخذ على كل نبي لئن بُعث محمَّدٌ وهو حي لَيُؤمِننَّ به ولينَصُرنَّه.

وهذا في جميع الأنبياء، ولكن محمداً ﷺ ـ وهو خاتمهم وإمامهم وخَطيبهم إذا اجتمعوا ـ أولاهم بأن يؤخذ الميثاق على غيره بتصديقه والإيمان به؛ لأنه الرسول الخاتم لجميع الأنبياء =

....

= والرسل، ولأنه مبعوث إلى عامة الناس ولجميع الثَّقَلَين الجنِّ والإنسِ، وهذه من خصائصه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن الله بعثه إلى الناس كافة، إلى الأحمر والأسود، إلى الجن والإنس، إلى العرب والعجم، فمَن تبع ما جاء به فله الكرامة والسعادة والعاقبة الحميدة، ومن حادَ عن سبيله فله النار نعوذ بالله من ذلك! ولهذا قال ﷺ: «كلُّ أُمَّتي يَدخلونَ الجنَّةَ إلا مَنْ أَبى». قيل: يا رسول الله، ومَنْ يَأْبى؟! قال: «مَنْ أطاعَني دَخلَ الجنَّةَ ومَن عَصاني فقد أَبى»[١].

ثم يبيِّن سبحانه وتعالى أن الإسلام هو دين الله، وأنه لا ينبغي لأحد أن يحيد عنه فيقول: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾، فهو استفهام إنكار، وأن الواجب على جميع الثقلين الالتزام بدين الله وما جاء به الرسل، فهو سبحانه المالك القاهر الذي أسلم له كل شيء، يعني: انقاد له كل شيء، وذَلَّ له كل شيء، يقال: أسلم له، يعني: انقاد له وذل له، وسُمِّي دين الإسلام إسلاماً لأنه ذُلٌّ لله، =

(١) أخرجه البخاري: الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٠).

....

= وانقيادٌ له، وطاعة لأوامره، وتركٌ لنواهيه سبحانه وتعالى، فهذا الملك العظيم القاهر القادر على كل شيء المالك لكل شيء، هو المستحق أن يُعبد ويُعظَّم، ويطاع أمره سبحانه وتعالى.

ثم يأمر نبيَّه ﷺ بأن يقول: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا﴾ إلى آخره، وفي آية البقرة: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ [البقرة: ١٣٦]، فهذا واجب على النبي ﷺ وعلى الأمة أن يؤمنوا بما أَنْزَلَ الله على الأنبياء الماضين وعلى نبينا محمد ﷺ، وأن ينقادوا لذلك ولا يكذبوا بذلك، ويسلِّموا لذلك ولا يفرقوا بين الرسل عليهم الصلاة والسلام، لهذا قال جل وعلا: ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ﴾، وفي آية البقرة: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ وفي آل عمران إسقاطها، والمعنى واحد، من باب المعطوف على ما قبله، =

....

= وفي آية البقرة «إلى» وفي آية آل عمران «على» وكل ذلك معناه صحيح، أُنزل القرآن إلى كذا، وأُنزل على كذا، ووجه التعدية بـ«على» أنه أنزل على هذا النبي العظيم وعلى الأنبياء قبله، ووجه «إلى» أن هذا التنزيل انتهى إلى هؤلاء الرسل كما انتهى إلى نبينا محمد ﷺ.

فالمعنى: أن الله جل وعلا يأمر الأنبياء ومنهم نبينا محمد ﷺ، ويأمر أمته أن ينقادوا لهذا الوحي المنزل، وأن لا يفرقوا بين الرسل، وأن يكونوا خاضعين لذلك، وبهذا يقال لهم: إنهم مسلمون، يعني: منقادين لهذا الأمر بالتسليم والإيمان بأنه حق من عند الله عز وجل والإذعان له، كذلك ننقاد لما بعث الله به نبيه محمداً ﷺ ونذل له ونعتمد عليه، ونسير عليه ونتمسك به حتى نلقى ربَّنا عز وجل.

وهذا هو واجب الأمة كلِّها، أن تسلم لأمر الله، وأن تنقاد له، وأن تعظِّم أمر الله ونهيه، وأن تصدق الرسل جميعاً، وأن تؤمن بما جاؤوا به من عند الله، وأنهم جاؤوا للدعوة إلى توحيد الله والإخلاص له، والإيمان به وبالآخرة وبالجزاء والحساب والجنة =

obeikandi.com

....

= والنار، كل ذلك جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام.

ثم جاء خاتمهم وأفضلهم نبينا محمد ﷺ بالذي جاء به الأنبياء من قبله من توحيد الله والإخلاص له، وجاء بشريعة أكمل في كل شيء، صالحةٍ لجميع العالم في زمن حضارتهم وبداوتهم، وضعفهم وقوتهم، ومرضهم وصحتهم، واجتماعهم وافتراقهم، وغير ذلك في جميع أحوالهم، فهي صالحة لكل زمان ومكان حتى تنتهي هذه الدنيا، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين سبحانه وتعالى.

والمقصود أن الله جل وعلا أمر نبيَّه ﷺ بأن يؤمن بما أنزل على الأنبياء وبما آتاهم، وأن ينقاد لذلك، وأمته، وهكذا يجب على الأمة ما وجب على نبيها، فهي أُمرت أيضاً بأن تؤمن بما جاءت به الرسل، ومن كذَّب واحداً من الرسل كنوح، أو هود أو صالح...، فقد كذَّب الجميع، وهكذا من كذَّب محمداً عليه السلام، من اليهود والنصارى فقد كذَّب الجميع. ولهذا لما بعث الله نبيه محمداً ﷺ ولم يؤمن به اليهودُ والنصارى، صاروا بهذا كفاراً بكفر آخر، كفراً =

....

= جديداً لعدم إيمانهم بمحمد ﷺ، وإن كانت اليهود قد كفرت أيضاً بعيسى عليه الصلاة والسلام، وأحدثوا من الإحداث ما أحدثوا، والنصارى كذلك، فكفروا بتثليثهم، وهكذا كان عدمُ الإيمان بمحمد ﷺ كفرٌ آخر ـ كفر مستقل ـ نعوذ بالله من ذلك.

وفيه بيان أن الإسلام هو دين الله، ومن ابتغى غيرَ الإسلام ديناً فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين، كما قال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فالإسلام هو دين الله للجميع من آدم إلى يومنا هذا.

فالإسلام في حق نوح وأمته وما جاء به نوح عليه الصلاة والسلام من الهدى والدين، والإسلام في حق هود وقومه كذلك، وما جاء به هود عليه الصلاة والسلام من الهدى والتشريع، هو توحيد الله والإخلاص له والإيمان بما جاءا به، وهكذا صالح، وإبراهيم، ولوط عليه السلام، وهكذا مَن بَعدَهم من الأنبياء، فالإسلام في حقهم هو الإخلاص لله وتوحيده والانقياد لما جاء به =

....

= النبي المبعوث إليهم والتسليم له.

ثم ختم الله الرسل بمحمد ﷺ، فكان الإسلام في حق أمته وتصديقه وتصديق من قبلَه من الرسل والانقياد للشريعة التي جاء بها والتسليم لها والتمسك بها ـ هو الإسلام الذي بعث به الله نبيه محمداً ﷺ كما بعث به الأنبياء قبلَه، فدينهم واحد كما جاء في الحديث: «الأنبياء إخوةٌ لِعَلّاتٍ، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد»[1]، فدِينُ الرسل والمرسَلين كلِّهم واحدٌ، وهو توحيد الله والإخلاص له والإيمان به وبما جاءت به رسلُه عليهم الصلاة والسلام، وإنْ تنوَّعت الشرائعُ، قال جلَّ وعلا: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨].

فالشرائع تتنوع بالأحكام والفروع، لكن الأساس واحد وهو توحيد الله والإخلاص له والإيمان به وبما جاءت به رُسلُه عليهم الصلاة والسلام، والإيمان بالآخرة والجنة والنار، والإيمان بكل ما أخبر به الرُّسلُ عليهم الصلاة والسلام، مما كان وفيما يكون وفيما =

(١) أخرجه البخاري: أحاديث الأنبياء (٣٤٤٣)، ومسلم: الفضائل (٢٣٦٥).

....

= بقي من الزمان، وبعد قيام الساعة، فكل ذلك حق لا بد منه، فمن ابتغى والتمس غيره، وآمن بغير هذا الدين، فإنه لا يُقبل منه ذلك، وهو مع هذا خاسر هالك في الدنيا والآخرة نسأل الله العافية.

وبهذا يُعلم أن دين الله واحد من عهد آدم إلى يومنا هذا، وهو دين الإسلام، دين الانقياد لله، دين التعظيم لله، دين الذل لله، ويسمّى إيماناً لأنه إيمان بالله ورسله، وتصديق لله وما جاءت به رسله، فهو إيمان قولي وعملي.

وكذلك يُسمّى بِرّاً لِما فيه من الخير والأعمال الصالحة، والتوجيه إلى الخير، والأمر بما فيه الرشاد والهدى، والنهي عما يضر.

ويُسمّى تقوى، لأنه يَقي أهلَه عذاب الله وغضبه، فهو تَقوى؛ لما فيه من اتِّقاء المحارم وأداءِ الفرائض، واتِّقاءِ أهلِها عذابَ الله وغَضبَه.

وكذلك سُمّي هُدى وصلاحاً لِما فيه من التوجيه إلى الخير، والاهتداء إلى الحق، وإصلاح الأخلاق والعقائد، فهو دين الله، وهو الإسلام، وهو الإيمان، وهو الهدى، وهو التقوى، وهو البِر. =

....

= ثم يَستبعد سبحانه وتعالى هداية مَن يكفر بَعدَ البيانِ وبَعدَ الوُضوحِ وبَعدَ إقامةِ الحُجَّةِ عليه، وبعد ما دخل في الإسلام وعَرفَه ـ يستبعد هداية هذا، ثم يَمُنُّ سبحانه وتعالى عليه بأنه إذا أقبل على الله ورجع إليه وتاب، فسيقبله الله سبحانه وتعالى، فمن عرف الحق ودخل فيه ثم خرج منه فهو حري بعدم التوفيق نعوذ بالله من ذلك، ولكن من رجع إلى الله واهتدى وتاب إليه، فالله يتوب عليه جل وعلا. وهكذا من كفر وزاد كفره ثم تاب قبل أن يموت وقَبلَ أن يُغَرْغِرَ، فالله يَقبل منه؛ فما دام الإنسانُ في هذه الحياة، وما دامت روحه في جسده، وما دام يعقل، فالتوبة مقبولة، وإذا حَضرَ أحدَهم الموتُ وغَرْغَرَ بالرُّوح، وغاب عن هذه الدنيا، وصار في لحظات الموت وخروج الروح، فإنه في هذه الحالة لا تُقبل منه التوبة، نسأل الله السلامة*.

---

* س: كيف يسلم الإنسان كُرْهاً؟

ج: يسلم كرهاً بكونه ذالاً لله قهراً عليه، فالكافر الذي لا يؤمن بالله ذالٌ لعظمة الله بالموت وما يصيبه من المَكاره والمَضار وغير ذلك، رغم أنفه، =

....

= ولا حيلةَ له في الخروج من ذلك، فهو بلسان حاله وبلسان مقاله إذا عقل ولم يعاند ـ وإذا عاند فالأمر معلوم! ـ ولسان حاله ينادي بأنه خاضع لله وبأنه يتصرف فيه، وأنه لا يخرج عن الله وعن تدبيره وقضائه سبحانه وتعالى.

س: يقول الله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ١٦٠]، هل يعني أن التوبة غير مقبولة إلا إذا توفَّر هذان الشَّرطان؟

ج: إن جَحدَ الحقَّ فلا بُدَّ أن يُبيِّن تَوبتَه، فمِن غير بيان الحق لا تكفي التوبة، ولا تُقبل منه حتى يبينٍّ ما جَحد وما أنكر، نسأل الله السلامة.

obeikandl.com

[نداء لأهل الإيمان]

۞ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ
أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ
تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ
هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ
تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ
جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً
فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ
مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ
تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ
كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ
ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ

obeikandl.com

تَكۡفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران: ١٠٠ - ١٠٧]. [٢٣]

[شرح٢٣] هذا نداء لأهل الإيمان؛ ليستقيموا على تقوى الله، ويعتصموا بحبله سبحانه وتعالى، وسبق أن ذكرنا أنّ القرآن الكريم من أوله إلى آخره كلُّه توجيه إلى الخير، وكله دِلالة على أسباب النجاة، وكلُّه تنبيه على ما فيه صالح العبد ونجاته وعاقبته الحميدة، وتحذير له مما يضره في العاجل والآجل.

ولهذا أمر الله سبحانه بالتعقُّل والتدبُّر، وأوصى بذلك؛ لأن هذا الكتاب العظيم لم يُنَزَّل لمجرد الحفظ أو التلاوة، ولكنه أُنزل للعمل والاستفادة، فمن أعرض عنه هلك، ومن أقبل عليه واستفاد منه، فيتدبره ويتَعقّله ليعمل به وليستفيد منه في العاجل والآجل، وليوجه الناس إليه، فيحصل بذلك الخير العظيم والعاقبة الحميدة.

وإنما هلك مَن هلك بالإعراض عن هذا الكتاب العظيم، وعدم تحكيمه، وعدم التدبر له، وعدم الاستفادة مما فيه من الخير العظيم، وإنما نجا مَن نجا، وسعد من سعد، وفاز من فاز بالإقبال =

....

= على هذا الكتاب العظيم عِلماً وعَملاً، وكان حظُّ الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم من هذا الكتاب هو الحظ الأوفر، فكانت علومهم منبثقةً من هذا الكتاب العظيم مع ما حفظوا من سنة الرسول عليه الصلاة والسلام.

فجدير بطالب العلم أن يُعنى بهذا الكتاب وأن يعَضَّ عليه بالنواجذ، وأن يكون جَليسه وسَميره، وأن يُعنَى بالتعقل والتدبر في كل وقت حسب الطاقة والإمكان، يقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ فسَّر أهل العلم «حقَّ تقاتِه»: بالتقوى حسب الطاقة، أي: اتقوا الله حسب ما تُطيقون وما تَستطيعون، فإنه سبحانه لا يكلِّف نفساً إلا وُسْعَها ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦]، فالمؤمن يؤدي واجباته من خلال فهمه لهذا القرآن كما أمره الله، بعناية وإقبال وإخلاص وصدق، حتى يُطبِّقَه كما شرعه الله جل وعلا حسب طاقته وإمكانه، فالصحيح على حسب حاله، والمريض على حسب حاله، والغني على حسب حاله، والفقير على حسب حاله، وهكذا في السفر والإقامة والشدة والرخاء، وغير ذلك. =

....

= ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢] المعنى: استمروا على التقوى، واثبتوا عليها حتى يأتي الموت وأنتم على ذلك، وهذا من باب الأخذ بالأسباب، فالتوفيق بيد الله جل وعلا فهو الموفق الهادي، وهو المثبت، ولكن مَن أخذ بالأسباب هو حَرِيٌّ بالتوفيق، فالمعنى: استقيموا واستمروا على الخير واثبتوا عليه، واسألوا الله الثبات عليه، وخذوا بالأسباب التي هي من أسباب الثبات عليه حتى تلقوا الله عز وجل.

والتقوى: هي تعظيم الله، وتعظيم حُرماته، ومراقبته، والإقبال عليه، والإخلاص له بأداء الفرائض وترك المحارم، والوقوف عند الحدود عن رغبة وإيمان وعن خوف وعناية وإخلاص. فالمتقي لله هو الذي يعظِّم حرمات الله، والذي يخاف الله ويرجوه، والذي يؤدي فرائضه ويحذر محارمه عن خوف وعن إيمان وعن تقوى وعن إخلاص لا عن مجرد عادة، بل هو يندفع إلى هذه الأمور عن دافع قلبي وعن إخلاص ورغبة فيها عند الله.

﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]. =

....

= «حَبْلُ الله»: فُسّر بدينه، وفُسّر بالإسلام، وفُسّر بالقرآن، وكلها في المعنى متوافقة، فمن تمسَّك بالقرآن فقد تمسَّك بالدين، ومن تمسَّك بالدِّين فقد تمسَّك بالقرآن، ومن تمسَّك بالإسلام فقد تمسَّك بالقرآن، فالإسلام هو الدِّين. والمقصود: الحثُّ والتحريض على التمسُّك بما جاء به المصطفى ﷺ من الهدى وعدم الحَيْدِ عنه يميناً أوشمالاً، بل يَلزم دين الله ويستقيم عليه ولا يَحيد عنه.

ثم من أعظم المهمّات: الاجتماع وعدم التفرق، فإن التفرق هو سُلَّمٌ لأعداء الله، وهو جندٌ لهم على المسلمين، فمن أعظم الأسلحة للعدو: تفرُّق المسلمين وتنابزهم واختلافهم، حتى يطمع فيهم العدو وحتى يضرب بعضَهم ببعض، كما يُقَال عنهم: «فَرِّقْ تَسُدْ». أما الاجتماع والتعاون والصدق في ذلك والتكاتف فهو جندٌ للمسلمين على عدوهم، وهو من أسباب نصرتهم على عدوهم ومن أسباب نجاحهم، بل إن من أعظم الأسباب للنجاة والسعادة والفوز بالكرامة والنصر والعاقبة الحميدة: الاتحاد على الحق، والتعاون في نَصرِه، والتكاتف في ذلك، والحذر من أسباب الفشل =

....

= التي قد يصاب بها بعض الناس حتى يضيع الحق بينهم.

ثم يُذَكِّر عبادَه بنعمة الله عليهم، فكان الناس على فُرقةٍ واختلاف في الجاهلية، وتَناحُرٍ وحروبٍ دائمة عند أتفهِ الأسباب وأقلِّها، ولا سيَّما بين سُكّان المدينة: الأوس والخزرج الذين كانت بينهم الحروب المتكرِّرة، حتى ذهبت فيها الأرواح الكثيرة، فاللهُ جل وعلا جمعهم بهذا الخير ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأنفال: ٦٣] فصاروا إخواناً مُتحابِّين في الله، متعاونين على البر والتقوى، أنصاراً للحق، دعاةً للهدى ببركة هذا الخير، وهذا الإسلام الذي دعا إليه رسول الله ﷺ.

ولهذا قال سبحانه: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ يبين سبحانه الآيات والحجج والبراهين ليهتدي من قدّر الله له الهداية، وليستفيد مَن طَلَبُه الحقّ.

ثم حذّر من الاختلاف وبيّن حالة المختلفين، وما يحصل لهم =

....

= من الكفر والضلال واسوداد الوجوه، وحالةَ المتّبعين للحق والقائمين به والثابتين عليه، وما يحصل لهم من السعادة وبياض الوجوه والفوز بالجنة والرحمة، هكذا تكون العواقب، مَن استقام على أمر الله وثبت على الحق فله العاقبة الحميدة، وهو مِمَّن يَبْيَضُّ وَجهُه يوم القيامة، ويفوز بالرحمة والسعادة، ومن كفر بالله وأعرض عن دينه، وكذَّب فعاقبته النار وسوادُ الوجوه، نعوذ بالله من ذلك.

ثم يبيِّن ـ جل وعلا ـ الآمرَ والناهي والداعيَ إلى الله، والمفلحَ على الحقيقة، فيقول جل وعلا: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤]، فدُعاة الخير إن أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر هم أهل الفلاح على الكمال، فدل ذلك على نقص مَن تساهل بهذا الأمر ولم يستقم عليه، وأنهم ليسوا من أهل الفلاح الكامل، وأن أهل الفلاح الكامل هم الدُّعاة إلى الخير عن إخلاصٍ، وعن إيمانٍ، وعن صدق، وهم الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فهؤلاء هم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر:٣]. =

....

= والله يَصفُ أولياءه بصفات متعددة في مواضع كثيرة، فتارةً يصفهم بأنهم أهل الإيمان والعمل الصالح، وتارةً يصفهم بأنهم أهل التقوى، وتارةً يصفهم بأنهم أهل الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، وتارةً يصفهم بأنهم أهل الفلاح الذين فعلوا كذا وفعلوا كذا من الأعمال الصالحة ودعوا إلى الخير وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، فأنتَ إذا تَأَمَّلت كتابَ الله وَجدْتَه يُنوّع صفاتِ المؤمنين ويُعدّدها؛ حتى يُلاحظَها المؤمن، وحتى يجتهد في أن يطبّق أعمالَه وأقواله على مقتضى هذه الصفات، فإذا رأى في موضعِ الدعوةَ إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، جاهد نفسه في ذلك حتى يكون من أهل هذه الصفات الثلاث، وإذا رأى في موضعِ آخَر الإيمانَ والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر جاهد نفسه في ذلك حتى يكون من أهل الإيمان ومن أهل العمل الصالح ومن أهل التواصي بالحق والصبر عليه، وإذا رأى في موضعِ آخر أن أولياء الله هم أهل التقوى وهم أهل القول السَّديدِ: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠]، لاحظ ذلك وحفظ لسانه وجاهدَه حتى لا يقول =

....

= إلا خيراً، وإذا رأى في موضع آخر: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩]، جاهد نفسه في الصدق في أقواله وأعماله، وهكذا، وَفَّق الله الجميعَ.

obeikandl.com

[فضل الأمة الإسلامية على غيرها من الأمم]

۞ قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ
بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ
ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ
وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن
يُقَـٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ
أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ
ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ
بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟
يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ
يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ
بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ
وَيُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [آل
عمران: ١١٠- ١١٤]. [٢٤]

[شرح٢٤] يُبينُ الله سبحانه وتعالى حالَ هذه الأمَّة وفضلَها على =

obeikandl.com

....

= غيرها من الأُمم، بسبب إيمانها وأَمرِها بالمعروف ونَهيِها عن المُنكَر، فيقول جل وعلا: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، قال أبو هريرة رضي الله عنه: كُنتم خَيرَ النّاسِ للنّاس، والمعنى: أنكم أحسَنتُم إلى الناس وأخرجتموهم من الظُّلمات إلى النُّور، وصبرتم على أسباب نجاتهم، فلهذا كنتم خير الأمة، والخَيريَّة مَبنيَّة على هذه الأسس التي بيَّنها سبحانه، وهي الإيمان بالله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمن كان بهذه الصفة فله من هذه الخيرية، وهو من هؤلاء الممدوحين، ومن تخلف عنها فاته من المدح، وفاته من الخير بقدر تخلُّفه، وبقدر نقص إيمانه، وبقدر نقص أمره بالمعروف، ونقص نهيه عن المنكر.

فكلَّما كان حظ المؤمن من هذه الصفات أكمل، صار حظه من الخيرية أكمل، وكلما كان حظه من هذه الصفات أنقص، كان حظه من الخيرية أنقص. وفي هذا تشجيع لأُولي الألباب وحثٌّ لهم على هذه الصفات، وهي الاستقامة في الإيمان؛ لأن الإيمان إذا أُطلق شمل الإيمان القَولي والعملي، وشمل عمل القلب وعمل اللسان =

....

= وعمل الجوارح، والإيمانُ يزيد بالطّاعات وينقص بالمعاصي عند أهل الحق.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الإيمان، ولكن نَصَّ الله عليه لعِظَم شأنه، وإلا فهو من الإيمان، بل من أعظم شُعب الإيمان، ولكن لما كان أمرُه عظيماً والمصالح المُترتِّبة عليه عظيمة خصَّه الله بالذكر، وهذا من سُنَّة الله في كلامه جل وعلا، يخص بعض الأعمال الصالحات من بين الإيمان للتنبيه على عظم شأنها. وهذا كثير في كتاب الله جل وعلا، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٧]، فالعمل الصالح داخلٌ في الإيمان، وقد نبَّه عليه ليُعلمَ عِظَم شأنه وأنه لا بد منه، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة من ذلك الإيمان والعمل الصالح، ولكن نُص عليهما لعظم شأنهما، وكذلك قوله جل وعلا: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠]، فالقول السديد من التقوى ومن الإيمان، ولكن نصَّ عليه لعظم شأنه؛ لأن =

....

= حفظ اللسان من أهم مُهمّات الإيمان والتقوى، وكذلك قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]، فذِكْر التواصي بالحق والتواصي بالصبر من باب تعظيم شأن هذين الأمرين، وأنهما من أهم المهمات، وإن كانا داخلَين في الإيمان، وداخلَين في العمل الصالح، لكن لهما شأن ينبغي أن يراعى وأن يُعتنى به.

ثم قدَّم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان؛ تنبيهاً على عظم شأنهما وما يترتب عليهما من المصالح العامة للمجتمع، وفي سورة «براءة» وسورة «المؤمنون» قدّم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فقال سبحانه: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [التوبة: ٧١]، فقدمهما لعظم شأنهما، وهذا بلا شَكٍّ يُوجب على المؤمن العناية بهذا الأمر، وأن يجعل هذا الخُلُق من أعظم أخلاقه ومن أهم أخلاقه، وهو خلق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يخفى ما يترتّبُ على =

....

= ذلك من الخير العظيم والمصالحِ الكثيرة في المجتمعات الإسلامية في كل مكان، ولا يخفى أنه من التواصي بالحقِّ والتواصي بالصبر، ولا يخفى أنه من الدعوة إلى الله عز وجل.

ثم قال بعده: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم﴾ يعني: لو آمنوا والتزموا الحقَّ، واتَّبعوا النبيَّ محمداً عليه الصلاة والسلام، لكان خيراً لهم، ولكن غلب عليهم الشر والهوى، وإيثار الباطل، والتعصبُ لما هم عليه من الباطل، ولهذا بقوا على كفرهم وضلالهم، ولاسيما اليهود، فهم أشرُّ الناس، شر الطائفتين، والنصارى أَلْيَنُ منهم، وأقرب إلى الحق، وإن كان كل منهم ضالاً ومغضوباً عليه، ولكن اليهود أشد شراً وأعظم خطراً، وغضبُ الله عليهم أظهرُ؛ لعلمِهم الحق وعدم انصياعهم له وعملهم به.

ثم بيّن صفاتهم ـ صفات اليهود ـ وأنه ضُربت عليهم الذلة الظاهرة والمسكنة، فهم أذلة وفقراء وإن ملكوا الدنيا، وقلوبهم مليئة بالفقر، وطلب المال والحرص عليه والجشع، والفقر ليس فقرَ =

....

= المال، كما في الحديث الصحيح: «ليس الغِنى غنى العَرَض، ولكن الغنى غنى النفس»(١)، فمن لم يَغْتَنِ قلبه ولم تغتن نفسه فهو فقير، وإن ملك الدنيا، وهكذا شأن اليهود، فهم أشد الناس حرصاً على الدنيا، وأفقر الناس من جهة القلوب، ولو ملكوا ما ملكوا من الدنيا.

ثم بَيّن أسباب ضلالهم وما حصل لهم من الذلة والمسكنة والغضب من الله جل وعلا؛ بسبب كفرهم بآيات الله، وقتلهم الأنبياء وعصيانهم واعتدائهم، فهم أصحاب نسب رفيع، من ذرية يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام، ولكن لا يغني نسبهم شيئاً إذا تخلفت الأعمال، فالأنساب لا تنفع أهلها إذا تخلفت أعمالهم، كما في الحديث الصحيح: «من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه»(٢)، وكما في قوله جل وعلا: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، فقد سقط بهم خُلقهم الخبيث وانحرافهم عن الهدى، وأما نسبهم فعظيم، ولكن لم يلتزموه، بل حادوا عن النسب الرفيع، لأن مقتضى النسب الرفيع التخلُّق =

---

(١) أخرجه البخاري: الرقاق (٦٤٤٦)، ومسلم: الزكاة (١٠٥١).

(٢) أخرجه مسلم: الذكر والدعاء (٢٦٩٩).

....

= أخلاق من نُسبوا إليهم والسير على منهاجهم، فإذا انحرفوا عن ذلك وحادوا عنه فلن ينفعهم ذلك النسب.

ثم بين أنهم لَيسوا سواءً، ففيهم الطيِّب وفيهم الخبيث، ولكن الغالب عليهم الخبث، قد افترقوا على إحدى وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهكذا النصارى افترقت على اثنين وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهكذا هذه الأمة افترقت على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، فأهل الكتاب كذلك فيهم الطيِّب والخبيث، والخبث أكثر.

وقد قال تعالى في هذه الطائفة السليمة الطيبة: ﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ ﴾ يعني: على الحق، ﴿ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ يعني: التهجد والعبادة، ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ فهذا يبين أن فيهم أخياراً، وأن فيهم أهلَ استقامة وأهل إيمان، ثم انحرفوا بعد ذلك، ولا سيّما بعد عيسى عليه الصلاة والسلام، فإنهم أنكروه إلا =

....

= من شاء الله، وكذبوه وزعموا أنه ولد بغي، فكفروا بذلك واستحقوا غضب الله وعقابه، لأنكارهم الحق وهم يعلمون.

ثم جاءت بَعْثَةُ محمد ﷺ، فأنكروا ذلك أيضاً وكذبوه، فغضب الله عليهم، فباؤوا بغضب على غضب، وصاروا من أكفر الناس وأضلهم، وإن كانوا في الجملة هم أكثر الناس بعد هذه الأمة اتِّباعاً لموسى عليه الصلاة والسلام، مع ما جرى منهم من انحرافات كثيرة، ولكن اتبع موسى عليه السلام خلق كثير، وانحرف منهم كثيرون، ثم انحرف بقيتهم إلا ما شاء الله بعد بعث عيسى عليه السلام، ثم انحرف أكثرهم، بل كلهم إلا قليلاً بعد بعث محمد ﷺ، فإنه ما آمن من اليهود إلا العدد اليسير جداً، وأكثرهم عاند الحق وكفر بمحمد ﷺ وما جاء به من الهدى، وهذا يدل على خبث طَوِيَّتِهم، وأن العنصر الذي بقي فيهم عنصر الخبث وعنصر جحد الحق وعنصر الحسد، هذا هو الذي غلب عليهم ـ نعوذ بالله ـ إلى يومنا هذا، نسأل الله العافية، والله أعلم.

وهنا شيء ينبغي التنبيه عليه، وهو أنَّ مَن انَحرفَ عن الحق، =

....

= وحسد أهل الحق، وترك الحق، مع العلم، فقد شابَهَ اليهودَ تشابهاً ظاهراً ـ نعوذ بالله ـ وما أكثر أشباههم من المنتسبين إلى العلم في جحد الحق وإنكاره، وفي الحسد ومخالفة الحق وهو يعلم، فهذه أخلاق موجودة قَلَّ مَنْ يَسْلَم منها،ولا حول ولا قوة إلا بالله.

obeikandl.com

[التحذير الشديد من اتخاذ الكفرة بطانة للمؤمنين]

۞ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝١١٨ هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١١٩ إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ۝١٢٠﴾ [آل عمران: ١١٨- ١٢٠]. [٢٥]

[شرح٢٥] في هذه الآيات الكريمة تَحذيرٌ شديد من اتِّخاذ الكَفرة بِطانةً للمؤمنين، وبيان سُوء عاقبة ذلك، وأن الكفرة لا يَأْلونَ المؤمنين خَبالاً، أي: فساداً وضرراً وحرصاً على كلِّ ما يكون فيه =

....

= شَرٌّ عليهم وبلاء.

ولهذا يقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ أي: الكفرة، فالذين دون المؤمنين هم الكَفرة، ولهذا قال: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ يُبيِّن الأسباب التي من أجلها جاء النهي، وأن أعداء الله لا يَألونَ المسلمين خَبالاً، أي: نقصاً وضرراً وإيذاءً وإدخالاً للسوء عليهم، وما ذاك إلا لأن الدِّينَ غير الدِّين، فالدِّينُ يُخالف الدِّينَ، والعَداوات التي تتعلَّق بالدِّين هي أشدُّ العَداواتِ، كما يقول الشاعر:

كلُّ العَداواتِ قد تُرجى مَودَّتُها

إلا عَداوة مَنْ عاداكَ في الدِّينِ

فهم يعتقدون أنك على باطل، وأنك ضِدُّهم، ولهذا لا يألون خبالاً لأهل الإيمان بإدخال السوء عليهم وتربُّص الدوائر بهم، وربما مالَؤوا الأعداء عليهم وخامروا الأعداء عليهم عند أدنى سبب.

ثم يقول جل وعلا: ﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ﴾، ما: مصدرية، أي: وَدُّوا عَنتَكُم؛ أي: وَدُّوا كلَّ ما يَشُقُّ عليكم. ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ =

....

= ﴿مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ أي: ما يظهر من فَلَتاتِ اللِّسانِ، والكلمات التي قد يقولونها إذا أَمِنوا، أو يقولونها فيما بينهم؛ فكلُّ ذلك يَدلُّ على شِدَّة العَداوة وقَصْدِ السُّوءِ بالمسلمين.

﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ أي: ما تخفي صدورهم من العداء والبغضاء وقصد السوء بالمسلمين أكبر مما يظهر وَيَبين من الألسنة. ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ أي: الدلائل والحُجَج ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: إن كان هناك عقل يميز الضار والنافع، والخير والشر، والهدى والضلال، والمصلحة والمفسدة.

ثم يبين ـ جل وعلا ـ بعد ذلك بقوله: ﴿هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ أي: أنتم المسلمين قد تحبون أولئك المنافقين المشركين؛ لما قد يظهر منهم من نصح، ويزيفون من عطف وعناية، وهم كاذبون، ولاسيَّما أهل النفاق، فإن أهل النفاق شرهم أعظم من الكفار المُعلِنين، فهم يظهرون من المحبة، ويظهرون من أصل الخير والمواساة والإحسان ما يضر المؤمنين، وما يغرّنا بهم أنهم أولياء، وأنهم أحباب، وأنهم ليسوا أهل نفاق، ولكن الحقائق غير ذلك. =

....

= ﴿هَآأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ فهذا هو شأن الكفرة، مهما أحبَّهم المؤمنون وأظهروا لهم المودة، سواء كان ذلك عن نفاق من الكفرة أو كان عن نقص من المؤمنين وعن ضعف؛ لأن العدوّ به شيء يخشونه، أو لغير ذلك من أسباب الجهل.

ثم قال: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾ أي: الكتاب الذي نَزل على محمد ﷺ، هنا الكتاب أي: جنس الكتاب، أي: جنس ما نزل على الأنبياء، فبعض أهل الكتاب يؤمن بجميع الكتب التي نزلت على جميع الأنبياء، ومن جملتها التوراة والإنجيل المُنزَلان على موسى وعيسى، أما هؤلاء فلا يصدّقون بما جاء به محمد ﷺ ولا يؤمنون به، واليهود لا تؤمن بالإنجيل أيضاً، فهم وأنتم على شقاق واختلاف.

﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ هذه من صفات أهل النفاق، يبيّن ـ جل وعلا ـ في هذا الكلام مَن يتظاهر بالنفاق، فالمسلمون يُحبُّونهم لظاهر ما ادَّعوا من الإسلام والأُخوَّة الإسلامية الإيمانية، ولكن الواقع خِلاف ذلك. =

....

= ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ فأهل الكفر والنفاق هذا شأنهم، فلا يَليق بالمؤمنين أن يَأْمَنُوهم ولا يولُّوهم الأمور التي يُخشى منها الشَّرّ على المسلمين، بل مهما أمكن فصلهم وبعدهم عن المؤمنين وعدم أمنهم، فهو المُتحتِّم، وهو الواجب؛ بُعداً عن الشر وحَذَراً من مكائدهم الخبيثة، وقد عرف المسلمون قديماً وحديثاً شَرَّ المنافقين وممالأتهم وولاءهم لأعداء الله، فيجب الحذر منهم غاية الحذر.

ويُروى أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه وأرضاه استكتب كاتباً نصرانيّاً حين إمارتِه على الكوفة، فَقَدِم في بعض خدماته، وطلبه عُمر ـ وكان بالمسجد ـ أن يأتي بحاسبه لكي ينظر في بعض الحساب، فقال: إنه لا يدخل المسجد، فقال: وما له؟ فعَلم أنه نصراني، فغضب عليه عُمر وأنكر عليه ذلك، وقال: قاتلك الله، لِمَ تُفَضّله؟ قال: إنه حاسب وإنه كذا وإنه كذا، فَلِي عَملُه وحِسابُه، وله دِينُه، قال: لا تَأْتمِنهم وقد خَوَّنهم الله، ولا تُقرِّبهم وقد أَبعَدَهم الله. =

....

= فالمقصود من هذا أن الكافر ولو كان عنده شيء من الحساب، ولو كان عنده شيء من الحِذْق في الأشياء، فمهما أمكن أن يُستغنى عنه بالمسلم فهو الواجب، وعملاً بما ينبغي مِن إبعادِهم وفَصلِهم عن المسلمين حتى لا يَضرُّوهم من غير أن يَشعروا بذلك.

﴿وَإِذَا خَلَوْا﴾ أي: خَلَوا عنكم وغابوا عنكم، أو خلوا بشياطينهم ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ بأطراف الأصابع من غيظهم، ومن بُغضهم لكم ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ يعلم ما تخفي الصدور، وما تنطوي عليه القلوب من خير وشر، لا تخفى عليه خافية سبحانه وتعالى.

فيجب على المؤمن أن يتقي الله عز وجل، وأن يُظهر الخير، وأن يكون ناصحاً لله والعباد أينما كان، وأن يحذر غش عباد الله والخيانة لعباد الله مهما كان، فإن الله لا يخفى عليه خافية سبحانه وتعالى.

ثم يُبيِّن ـ جل وعلا ـ حالة الكفار، وأنه يَسُرُّهم ما يَضرُّ المسلمين، ويحزنهم ما يفرح المسلمين وما ينفع المسلمين، ولهذا يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ =

....

= ﴿سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ هذا شأنهم، إن مَسَّ المسلمين حسنة من نصر وتأييد وعزٍّ وجَمْعِ كلمة وحصول خير عظيم ساءَهم ذلك.

﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾ أي: وإن تُصِب المسلمين سيِّئة من هزيمة، أو جراحات، أو قتل، أو فقر، أو اختلاف فيما بينهم، أو ما أشبه ذلك يفرح الأعداء بذلك، لأنهم جُندٌ لهم على المسلمين، فيفرحون بما يؤذي المسلمين، وما يُفرّق كلمتهم، وما يسبب العداوة والبغضاء فيما بينهم.

فيجب على المسلمين أن يكون عندهم من الحذر والبصيرة ما يعينهم على محاربة ما يَضرُّهم ويُفرِّق كلمتهم، ويُعينهم على الحرص على جمع كلمتهم وتعاونهم، وأن يكونوا صفاً واحداً ضدّ عدوهم.

﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ هذه آية عظيمة يبين فيها ـ جل وعلا ـ أن المسلمين إذا صبروا على دينهم واتقوا الله فيما بينهم، فإنه لا يضرهم عدو مهما كثر عددهم، ومهما قَلّت عِدَّة المسلمين، فإن الله ناصرهم ومؤيدهم بهذين الشرطين: الصبر والتقوى. =

....

= فالصبر: الصدق في اللقاء، والصبر على ما قد يقع من جراحات، ومن فقر، ومن حاجة، وغير ذلك.

والتقوى: كل خير، فالتقوى إعداد العُدَّة، والتدرب على السلاح، والثبات على الحق، وترك المحارم، إلى غير ذلك.

فالكلمتان جامعتان لكل خير، جامعتان للصبر على ما قد يضر المسلمين من جراحات ومن فقر ومن حاجة وما إلى ذلك، فالتقوى تكون بالعمل بكل ما يُعينهم على قتال عدوهم وجهاده من إعداد الأبدان وإعداد السلاح وإعداد النفقة وأخذ الحيطة، والبعد عن مكائدهم وعن أسباب شرهم من جميع الوجوه.

ثم يبين سبحانه وتعالى أنه يحيط بهم، وأنه عالم بأحوالهم، وليس يخفى عليه خافية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ فلا تخفى عليه خافية، مهما أعدُّوا، ومهما حاولوا النَّيل من المسلمين، فإنه ـ جل وعلا ـ لهم بالمرصاد، وسوف يُبطِل مكائدهم ويعين أولياءه عليهم إذا صدق أولياؤه، وإذا أدّوا ما عليهم، فإذا صدقوا في إعداد القوة في التقوى والصبر في أخذ الحذر، وفي أخذ الحيطة، =

....

= واستقاموا فالله ناصرهم، كما قال عز وجل: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]، ثم فسَّر المنصورين وبيَّن أعمالهم وقال: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الحج: ٤١]، فإقامة الصلاة عنوان الاستقامة على دين الله، فمن حفظها حفظ دينه ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع، ﴿وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الحج: ٤١] هذا فيه دلالة على أنهم مستقيمون في فعل المعروف والأمر به والنهي عن المنكر والتحذير منه، وبهذا استحقوا النصر من الله عز وجل، واستحقوا العاقبة الحميدة، ولله عاقبة الأمور سبحانه وتعالى.

وبهذا يُعلم أن ما أصاب المسلمين من تأخُّر وضعف وتفرّق كلمة وتسليط عدوّ، إنما هو بأسباب إضاعتهم لهذه الصفات، وعدم قيامهم بها أو ببعضها، ولهذا حصل ما حصل من الضعف والتأخُّر وتسليط الأعداء، فإذا رجعوا إلى ما أمرهم الله به وما وَعدَهم عليه النصر، واستقاموا عليه، جاءهم ما وعدهم به من النصر والتأييد ورَفْعٍ من مكانتهم وعِزّهم ونصرهم على عدوهم، ونسأل الله حسن العاقبة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

[غزوتا بدر وأحد]

۞ قال تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ
مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ
مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾
وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ
ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم
مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ
مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [آل عمران: ١٢١ - ١٢٥]. [٢٦]

[شرح٢٦] سَبقَ في كلامه جلَّ وعلا التَّحذيرُ من اتِّخاذ بِطانة من دون المؤمنين، وبَيَّنَ سبحانه مَفاسدَ ذلك ومَضارَّه، وحِكمةَ المَنْع من ذلك، ثم بَيَّن هنا جلَّ وعلا ما جرى يوم أُحد ويوم بدر، وهما غزوتان عظيمتان حَصَلَتا بين النَّبيِّ ﷺ وبين المشركين، والتقى فيها حِزْبُ الله وحِزبُ الشَّيطان، وكانت الدائرة في يوم بدر - وهي =

obeikandl.com

....

= الغزوة الأولى التي جمع الله فيها بين نَبِيِّه وبين عَدُوِّه على غير ميعاد ـ كانت الدّائرةُ فيها على أعداء الله، وجرى فيها ما جرى مِمّا هو معروف من هزيمة أعداء الله، وقَتْل سبعين منهم، وأَسْرِ سبعين، وانهزام الباقين، وكان هذا نصراً مُبيناً عظيماً، وفَتحاً كبيراً أذلَّ رؤوس المنافقين، وعَظُم فيه أَمرُ النبِّي ﷺ وأَمرُ المسلمين، وانتشر صِيتُ هذه الغزوة بين العرب وغيرهم. ثم دارت الدائرة على المسلمين في غزوة أحد، فإن المشركين عظم عليهم الأمر، فعندما قُتل رؤساؤهم وعظماؤهم وصناديدهم يوم بدر شق عليهم الأمر جداً، وتوجهوا إلى أبي سفيان بعدما قدم بالعِير سالماً وفيها التجارة العظيمة، فقالوا فيما بينهم: هذه التجارة تبقى لقتال محمد ﷺ وأصحابه، والاستعانة بها في إعداد غزوة يقوم بها الكفار في المدينة، فتراسلوا في هذا وتزاوروا فيه، وجرى بينهم ما جرى، واستَسمَحوا من لهم الأموال، وتَمَّ أمرهم على إعداد العدة لغزوة أحد.

وكانت غزوة أُحد في شوّال من العام الثالث للهجرة، وغزوة بدر في رمضان من العام الثاني للهجرة، فعلى رأس السنة =

....

= جاء جيش المشركين في ثلاثة آلاف مقاتل، ونزلوا بالمدينة، واستشار النبي ﷺ الناس للخروج إليهم أو تركهم بمكانهم إن دخلوا قُتِلوا، وإن يئسوا تُرِكوا حتى ينقبلوا، فأشار قوم بالجلوس كعبد الله بن أُبيٍّ ابن سَلول رأس المنافقين، فقال: نجلس في بلادنا، فإن دخلوا علينا قاتلناهم في الأسواق، وقاتلهم النساء والصبيان من السطوح بالحجارة وغيرها، وساروا بشَرِّ حالة، وإن انشَمروا انشَمروا خائبين. وقال آخرون من الشُّجعان والأبطال ومن لم يحضر يوم بدر: يا رسول الله نخرج إليهم، فلا يَليقُ بنا أن نُقيمَ بالمدينة وهم حولنا، بل نخرج إليهم ونقاتلهم وجهاً لوجه، فهوي النبي ﷺ قول هؤلاء الآخرين، ودخل بيته ثم لبس لَأْمَتَهُ؛ لَأْمَةَ الحَرْبِ، وخرج إليهم عليه الصلاة والسلام، فكان بعضُهم قال: نخشى أن نكون أكرَهْنا الرَّسولَ ﷺ على ذلك، فقالوا: يا رسول الله، إنْ شِئْتَ أن نبقى، قال: «ما كان لنبيٍّ أن يلبَسَ لَأْمَتَه ثم يضعها، حتى يقاتل»[1].

فخرج الناس في ألف مقاتل إلى جهة أُحد، فبَدا لعبد الله ابن =

---

(١) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٧٦٠٠).

....

= أُبيّ وهو في الطريق أن يرجع، وقال: أطاع رأيهم ولم يُطِعْ رأيي، وانخذَل بنحو الثُّلث من الناس؛ أي بنحو ثلاث مئة من الجيش، وقالوا: ليس هناك قتال، ولا نعلم قتالاً، وكانت وَصْمةً كبيرة على هذا الرَّجل ونِفاقاً ظاهراً، فلامَه الناسُ على ذلك وأرادوا منه الرجوع فأَبى.

واستمر النبيُّ ﷺ بوجهه في نحو سبع مئة مقاتل، وجعلوا ظهرهم إلى أُحد، واستعدُّوا لقتال عدوِّهم، وأمر الرُّماة وهم خمسون مقاتلاً، أن يمسكوا سفح الجبل، ويَنضحوا خيل المشركين بالنَّبْل، وأن يمنعوا أن يُؤتَوا من خَلفِهم، وحَرَّض الرُّماةَ على ذلك فقال: «لا تَبرَحوا، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا»(١).

وكان في أمر الله ما كان سبحانه وتعالى، وقد سبق في علم الله ما فيه دلالة على صدق الرسول ﷺ، وأن الحرب بينه وبين عدوه ستكون سِجالاً، يُدَالُ عليهم ويُدَالُونَ عليه، فكان هذا من =

---

(١) أخرجه البخاري: المغازي (٤٠٤٣).

....

= علامات النبوة، كما قال هرقل لما أخبره أبو سفيان بالحال التي بينه وبين محمد ﷺ وسأله عن الحرب قال: كانت سِجالاً، نُدال عليه ويُدال علينا، قال في جوابه بعد ذلك: هكذا الأنبياء تُبتلى، ثم تكون لها العاقبة.

فحصل بين النبي ﷺ والمشركين يوم أحد قتال عظيم، انهزم فيه المشركون في أول الأمر، وقُتل منهم أكثر من العشرين، ثم لما رأى الرُّماة أن المشركين انهزموا وسقطت رايتُهم، ظنوا أنها الفاصلة، وأن الحرب قد انتهت، وأن المسلمين قد انتصروا، وأنه ليس هناك حاجة إلى البقاء على سفح الجبل، فذكَّرهم أميرُهم عبد الله بن جُبير بما قاله النبي ﷺ من لزوم المكان وإن انتصرنا، فأبى عليه القوم متأولين أن مراد النبي ﷺ الحيطة؛ لئلا يرجع الكفار، وقد انهزموا وليس هناك حاجة إلى البقاء.

وكان أمراً مُقدَّراً من الله عز وجل، وأمراً مفعولاً، ولم يُعذَروا بهذا، فصارت معصية؛ لأنهم أُمروا بالبقاء، فوقع بهذا النزاع والفشل الإخلالُ في الموقف، فدخلت خيل الكفار على المسلمين =

....

= مِنْ ورائهم، وصار القتال من الخلف ومن الأمام، واضطرب المسلمون في هذه الحال، وصار ما صار من الهزيمة والقتل العظيم، حتى قُتل من المسلمين نحو السبعين، وحصل فيهم جراحات كثيرة، وأَصْعَدُوا في الجبل، وانفرد النبيُّ ﷺ في عشرة من المسلمين، منهم: الصِّديق وعُمر، ومنهم: سبعة من الأنصار، ولم يزال الأنصار يُدافعون عن النبي ﷺ حتى قُتلوا جميعاً، ولم يبق إلا النبي ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

وجرت مصيبة عظيمة؛ ليَتبيَّن جل وعلا ـ وهو الحكيم العليم ـ الصادقَ من الكاذب، والصابرَ من غيره، والمؤمنَ من المنافق، وعند هذا نَجَمَ النِّفاقُ، وأظهر المنافقون كلامهم، وقالوا ما قالوا، ولكن الله فضحهم سبحانه وتعالى، وجعل هذه الوقعة تَمحيصاً للمؤمنين وتكفيراً لسيِّئاتهم وامتحاناً، واتخاذهم شهداء، فظهر نفاق المنافقين، وظهرت آية الله في عباده، وأنه يبتلي الرُّسل ويبتلي الأنبياء، ثم يجعل لهم العاقبةَ، والحمد لله سبحانه وتعالى.

وفي غزوة أُحد دِلالة ظاهرة على أن الرُّسل عباد لله جلَّ وعلا =

....

= وليسوا أرباباً، ولهذا يجري عليهم ما يجري على الناس من القتال والجراح، وقد قُتل من الرُّسل مَنْ قُتل عليهم الصلاة والسلام، وجرى على نبي الله ﷺ ما جرى يوم أُحد من الجراحات وكَسْر الرَّباعية، وكَسْرِ البَيضَةِ على رأسه ﷺ، وجرى ما جرى على جماعة من الصَّحابة وهم خِيرَةُ الله من عباده بعد الأنبياء، فلو أنَّ أحداً يُنصر بمجرَّد أنه صالح، وبمجرَّد أنه نبي وبمجرَّد أنه وَلِيٌّ من أولياء الله، لنُصر المسلمون يوم أُحد، ولم يحدث لهم شيء؛ لأنه نَصرٌ لعباد الله؛ ولأنهم خير خلق الله، ولكن الله له سُنَّة جارية في عباده، وأن من أَخلَّ بالسُّنن الكَونيَّة والسُّنن الحربية ولم يُبالِ بها، فسوف يجري عليه ما جرى على أمثاله من النقص ومن الهزيمة ومن الجِراح إلى غير ذلك.

فلا بُدَّ من الأخذ بالسُّنن الجارية، والأسباب، والحيطة، وإعداد العُدَّة، فقد لَبِسَ النبيُّ يوم أُحد دِرعَينِ ـ ظاهَرَ بين دِرعَينِ ـ وهذا كلُّه يَدلُّ على الحيطة والأخذ بالأسباب، وبه يُعلَم أن الرسل والأنبياء والأولياء لا يُعبَدونَ من دون الله، وليسوا آلهة كما يظنهم الجهّال الذين اتخذوا قبورهم واتـخذوا أنفسهم آلهة من دون الله، =

....

= فيَعبدونَهم مع الله، ويسألونهم قضاء الحاجات، وتفريجَ الكُروب في كل مكان من قريب ومن بعيد. هذا هو الجهل العظيم، فهم وإن كانوا كُرماءَ وأشرافاً عند الله، وعند عباد الله المؤمنين، وإن كانوا أصلحَ عباد الله، إلا أنهم لا حَقَّ لهم في العبادة؛ فالعبادة حق الله ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وذكر سبحانه أنه أخرج نَبيَّه ليُبوِّئ المؤمنين مَقاعدَ للقتال، ليُبيِّنَ لهم مواضع القتال ومَحلَّه كيف يقاتلون عدوَّهم، وبيَّن سبحانه أن طائفتين هَمَّتا أن تفشلا ثم ثبَّتهما الله، وهاتان الطائفتان ثبت في «الصَّحيحين» من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أنهما قبيلتا بني سَلِمَة وبني حارثة، ثم ثبَّتهُما الله فلم يفشلا، وثَبتَتا.

ثم بَيَّن سبحانه وتعالى ما جرى ببدر، وأنه نصرهم ببدر وهم أذلَّة قليلون مُستَضعَفونَ نحو الثُّلث من عدوِّهم، فنصرهم الله وأَيَّدهم وأذلَّ أعداءهم، وهو الحكيم العليم، فمَن استقام على أمره وحافظ على شَرعِه وأخَذَ بالأسباب ـ نُصِرَ وأُيِّدَ وإن كان من الفئة القليلة ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ =

....

= ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]. ومن أخَلَّ بالأسباب وحصل منه العصيان والنزاع والفشل يُنصر عليه عدوُّه، وإن كان عدوُّه أبغَضَ إلى الله منه، وإن كان عدوُّه العدوَّ اللَّدود، ولكن من أخلَّ بسُّنة الله في الحروب، وأخلَّ بما يجب من أخذ الأسباب، وأخلَّ بما يجب من الطاعة، وباشَرَ المعصيةَ فهو حَريٌّ بأن يُنصر عليه عدوُّه وإن كان في غاية من الفضل والطاعة، ونحو ذلك في الجملة. ولكن إذا أخلَّ بالأمور اللازمة في الحرب، ولم يأخذ بالحيطة، ولم يُعِدَّ العُدَّة اللازمة، فلا بُدَّ أن يُصابَ بما يُصابُ به أمثاله، من جراح وهزيمة وغير ذلك، حتى لا يَحتجَّ أحد، فالله قد أمر بإعداد العُدَّة والأخذِ بالأسباب والحيطة، فإذا فرَّط الناس وتساهلوا وتكاسلوا فالمصيبة عليهم.

ومِنْ أعظم المصائب: العصيان والاختلاف والنزاع، فهذه من أعظم الأسباب لتسليط الأعداء، مهما كان أولئك الأخيار، ومهما كانوا في الدرجة من الفضل، فإذا أَخَلُّوا وتساهلوا بما يجب، فهم على خطر من العقوبات من أعدائهم وأعداء الله، ولنا فيما وقع =

....

= يوم أُحد أعظم حجة، وأعظم فائدة، وأعظم موعظة، فليس في الدنيا في ذاك اليوم ولا بعده ولا قبله، أفضلَ من الرسول ﷺ، وليس في الدنيا أفضل من الصحابة بعد الأنبياء، ومع ذلك لما أخلُّوا بالموقف وحصل العصيان والتنازع والفشل جرى ما جرى مما هو معلوم، ولنا في هذا عظة وذكرى، ولكل مسلم عظة وذكرى، ولكل دولة صالحة عاقلة عظة وذكرى، والله المستعان.

وأما ذِكْرُ الآلاف الثلاثة في الآية وذِكرُ الخمسة كذلك، فقد اختلف أهل العلم في هذا، فقال بعضهم: إن هذا في يوم أُحد وليس في يوم بدر، وقال آخرون: في يوم بدر وهو تفسير ابن جرير، وهو ظاهر السِّياق أنه في يوم بدر، وأنَّ الله جل وعلا أنزل من الملائكة ألفاً مُردِفِيَن، وأن هذا الإرداف يحتمل أنه ثلاثة آلاف ويحتمل أنه أكثر وهم خمسة، فيحتمل هذا وهذا.

والإرداف ليس معناه أنهم راكبون معهم، فقد يُردَفونَ بهم وإن كانوا بَعدَهم، يعني: نزلوا بَعدَهم إلى القتال، وليس من اللازم أن يكونوا معهم في الخيل التي ركبوا عليها، فالإرداف يكون على =

....

= الفرس، ويكون تابعاً له على فرس أخرى، وفي طريق أخرى عوناً له، والله قال في آية أخرى في قصة بدر: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]. وهنا قال: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ ثم قال: ﴿بَلَىٰ ۚ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾.

والتَّسويمُ: التَّعليم، يعني: جعلوا علامات على رؤوسهم أو على خيلهم. والمقصود أنَّ الله جلَّ وعلا أمدَّهم بألف من الملائكة مُردِفِينَ كما في سورة الأنفال، وهنا قال: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ﴾ فيحتمل أن هذا المَدَدَ حصل، ويحتمل أنه لم يحصل على قول من قال: إن هذا يوم بدر، وأما في يوم أُحد فلم يحصل؛ لأنهم أخلُّوا بالموقف وأخلُّوا بما وجب عليهم، فخُذِلوا بسبب العصيان والفشل، وقد سبق لك أن المختار عند ابن جرير والجماعة أن هذا المَدَد ـ بالثلاثة والخمسة ـ كان يوم بدر، وأنه إرداف للسابق، والله جل وعلا أعلم سبحانه وتعالى. =

....

= والخلاصة أنهم في يوم بدر نُصروا مع قِلَّتِهم وضَعفِهم لما صدقوا واستقاموا واتَّحدَت كلمتُهم، ولم يختلفوا ولم يتنازعوا ولم يعصوا، وفي يوم أُحد لما اختلفوا وتنازعوا ـ الرُّماة ـ ونزلوا وتركوا الموقف وعصوا، سلِّط عليهم العدو بأسباب العصيان الظاهر والاختلاف، وكان ذلك قَدَراً مقدوراً، ولله فيه العظة البالغة والحجة الداحضة، وله سبحانه وتعالى الآية العظمى والدلالة على صدق الرسول ﷺ وأنه رسول الله، وأنه يُبتلى وأنهم يُبتلون، ثم تكون لهم العاقبة.

وقد جاءت غزوة الخندق بعد ذلك بسنتين، في السَّنة الخامسة للهجرة، واجتمع رأي المشركين على حرب النبي ﷺ، واجتمعوا في نحو عشرة آلاف مقاتل، ونزلوا بالمدينة وحاصروها، واتَّخذ النبيُّ الخَندقَ العظيم المعروف، وصابَرَهم النبيُّ ﷺ مدة طويلة، ولم يَجْرِ قتال إلا مُناوشة.

وقُتل من المشركين عَمرو بن عبد وُدّ، وأصيب سعد بن معاذ في أَكحُله، ثم مات بعد ذلك رضي الله عنه وأرضاه، وجرى شدة =

....

= بين المسلمين وبين عدوهم في ذلك الموقف العظيم، ثم أنزل الله بأسه وجنده على أعدائه، وأصابهم بالريح العظيمة والجنود الكثيرة، حتى انقلبوا خاسئين إلى بلادهم، لم ينالوا خيراً، وكفى الله المؤمنين قتالهم وشرَّهم، وصارت العاقبة حميدة. وقال رسول ﷺ بعد ذلك: «الآن نغزوهم ولا يَغزونَنا، نحن نسير إليهم»[1] فصارت هي الآخِرة، فلم يَغْزُوا النبيَّ ﷺ في المدينة، بل غزاهم النبيُّ ﷺ بعد ذلك يوم الحُديبية، وجرى ما جرى من الصُّلح، ثم غزاهم في عام ثمانٍ يوم الفتح، ففتح الله عليه وانتهى أمرهم، ولله الحمد والمنة سبحانه وتعالى.

---

(١) أخرجه البخاري: المغازي (٤١١٠).

obeikandl.com

[النهي عن أكل الربا،
والحث على الإنفاق]

۞ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ
أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ
ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ
تُرۡحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ
عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ
فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ
ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ
فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن
يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ
يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ
تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ
﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٠-١٣٦]. [٢٧]

[شرح٢٧] ينهى سبحانه وتعالى عباده عن أكل الربا، ويخاطب أهل =

obeikandl.com

....

= الإيمان بذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ فتارة يخاطب ربنا عز وجل في كتابه العظيم الناس جميعاً، لأنهم خُلِقوا ليعبدوا الله، ولأن الرسل بُعِثَتْ إليهم جميعاً؛ للتعليم والتوجيه والإرشاد.

وتارة يخاطب أهل الإيمان؛ لأنهم أهل الامتثال على الكمال، ولأنهم أهل البصيرة والتقدير لأوامر الله ورسوله، ولأنهم قد علموا من الله ومن رسوله عليه الصلاة والسلام ما لم يعلمه غيرهم، فكان في خطابهم مزيد من التأكيد في كونهم فهموا ما لم يفهم غيرهم، وعلموا ما لم يعلم غيرهم.

وتارة يخاطب نبيه ﷺ فيقول: «يا أيها النبي»، «يا أيها الرسول»، والمرادُ أَمْره وَأَمْرُ غيره، فإنَّ أَمْرَ الرسولِ ﷺ بشيء أو نهيه عن شيء أَمْرٌ للأمة وَنَهْيٌ للأمة، ما لم يأت ما يدل على التخصيص.

ففي أوامر الله ورسوله، سواء كانت مُوَجَّهَة للناس، أو لأهل الإيمان أو للنبي بالخصوص عليه الصلاة والسلام - أوامر للجميع، =

....

= والواجب على الجميع امتثالها، وإن كانت نواهي فالواجب على الجميع الانتهاء عنها. يقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗ﴾ فكان من عادة أهل الجاهلية أكل الربا أضعافاً مضاعفة، وكان الغالب عليهم ربا النسيئة، ولهذا جاء في الحديث: «إنما الربا في النسيئة»[1]، لأنها كانت هي الغالبة بينهم.

فالمعاملة الربوية غالباً في النسيئة، وقد يقع الربا في الفضل وفي البيوع المعجلة، ولكن ذلك هو الأقل، وإنما الغالب والكثير في المعاملات الربوية التي فيها آجال وفيها نسيئة.

وقد قال عليه الصلاة والسلام في الأحاديث الصحيحة: «لا تبيعوا الذهب بالذهب ولا الوَرِق بالوَرِق إلا وزناً بوزن، مثلاً بمثل، سواء بسواء»، وفي رواية أخرى عن أبي سعيد: «فمن زاد أو استزاد فقد أربى»[2]. وهكذا في حديث عبادة، فهذا في ربا الفضل.

وجاء النهي منه عليه الصلاة والسلام أيضاً عن النسيئة: =

---

(١) أخرجه مسلم: المساقاة (١٥٩٦).

(٢) أخرجه البخاري: البيوع (٢١٧٦)، ومسلم: المساقاة (١٥٨٤)(٧٧)و(٨٢).

....

= «الورق بالذهب رباً إلا هاءَ وهاءَ ...» إلى آخره[١]. ونهى عن بيع الوَرِق بالذهب دَيْناً[٢]. وما ذاك إلا لأن بيعها ديناً يفضي إلى مضار كثيرة، ويفضي أيضاً إلى ظلم الفقير والزيادة عليه وتراكم الأموال في ذمته بسبب حاجته إلى الْغَنِيِّ، فيكون الربا عليه أضعافاً مضاعفة كلما حل ولم يتيسر له الوفاء. وذلك مما يجره إلى النسيئة فيكون ربا النسيئة هو الغاية وهو المقصود، ولأن الناس في الغالب طبقات: منهم الغني، ومنهم المتوسط، ومنهم المحتاج، فإذا سُمِحَ بربا النسيئة ظَلَم بعضُهم بعضاً، وأضر بعضهم ببعض، فكان من رحمة الله أن منعهم من ذلك حتى يكون بينهم التعاون بالقرض الذي ليس فيه رباً، أو البيوع التي ليس فيها رباً، أو البيوع التي ليس فيها إلا الأرباح المعقولة من باب بيع المؤجل، أو من باب بيع السلم أيضاً، كل ذلك واقع.

الحاصل أن قوله: ﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَوٰٓا أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً﴾ ليس المراد منه إباحة الربا الذي ليس فيه أضعاف مضاعفة، ولكن =

---

(١) أخرجه مسلم: المساقاة (١٥٨٦).

(٢) أخرجه البخاري: البيوع (٢١٨١)، ومسلم: المساقاة (١٥٨٩).

....

= المقصود نهيهم عما هو واقع بينهم، وتحذيرهم مما هو سائد بينهم، من الربا المضاعف الذي يجر بعضه إلى بعض، ويسوق بعضه إلى بعض بسبب بقاء عسر المعسر وجشع الغني، فيتركب من جشع هذا وعسر هذا وضعفه، هذه المضاعفة في الربا.

وكان من عادتهم إذا حل الدين أن يقول الغني للفقير: إما أن تُرْبي، وإما أن تَقْضي، أي: إما أن تؤدي الحق الذي عليك وتقضي ما عليك من الديون، وإما أن تُرْبي بأن تزيد في المال، وأنا أزيدك في الأجل، فإذا كان المال مئة، وقد حلّت، ولم يتيسر له القضاء، قال له صاحب الحق: إما أن تبادر بالقضاء وتسعى في القضاء، وإلا تزيد في المال، وأنا أزيدك في الأجل، فيكون المالُ مِئةً وعَشرَةً أو مئة وعشرين بدلَ مِئَةٍ، ثم يجدِّد أَجَلاً آخَر إلى كذا وإلى كذا.

هذا معنى ﴿أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً﴾ أي: ضعفاً بعد ضعف، أو زيادة بعد زيادة، فكلما حل أجلٌ زِيدَ في المال، وزيد في الأجل، لأن الغالب أن الفقير لا تزيده هذه الزيادة إلا فقراً، ولا تزيده إلا عسراً، فكلما حل الدين فإن عسره باقٍ، وفقره حاضر، فيحتاج إلى =

obeikandi.com

....

= المزيد من المال، وإلى المزيد في الأجل، فتبقى الديون متراكمة متضاعفة إلى ما لا يحصى من الزيادات، فحرم الله ذلك، وأوجب الإنظار.

فإذا حل الدين ولم يتيسر للمدين الوفاء وجب على صاحب المال الإنظار والإمهال وعدم الزيادة، وأنزل في هذا جل وعلا: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠] فوَجبَ الإنظارُ على الغَنيِّ صاحبِ المالِ للمُعسِرِ الذي هو المَدينُ، ونَهى الله عن ذلك الرِّبا الذي ساد في الجاهلية، وقال جلَّ وعلا لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩]، أي: فاعلموا بحرب من الله ورسوله. ثم قال: ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٧٩]، فأباح لهم سبحانه أخذ رؤوس الأموال، وحذَّرهم من الرِّبا، وأخبرهم أن استمرارهم فيه إيذانٌ بحرب الله ورسوله، نسأل الله السلامة والعافية.

قوله سبحانه: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ بَيَّنَ جلَّ وعلا =

....

= أَنَّ الفلاح في تقوى الله، والفلاح: هو الظَّفر والفَوزُ والحصول على النَّجاة والسَّعادة، فدَلَّ ذلك على أن الفلاح في ترك معاصي الله، وأنه في فعلها الهلاك والدمار.

﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ أي: أُوصِدَتْ وهُيِّئَت لأعداء الله، فهي مُعدَّة لهم، يقيمون فيها أبد الآباد، وإن كان العاصي قد يشارك في ذلك، فقد يدخلها، لكنها لم تُعَدَّ له، وإنما أُعِدَّت لغيره، والعاصي يدخلها من باب التأديب والتَّطهير، ثم يُخْرَجُ، فدخوله للتَّطهير لا للإقامة فيها، بخلاف الكافر، فإنها مُعدَّة له، وهو مُقيمٌ فيها أَبدَ الآباد، كما أن المؤمن مقيم في الجنة أبد الآباد، فالجنة لأهلها على وجه التأبيد، والنار لأهلها على وجه التأبيد، نعوذ بالله من حالها وحال أهلها.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ بَيَّنَ جلَّ وعلا أن الرَّحمة في طاعة الله ورسوله، والمعنى: أنه في عصيان الله ورسوله ضد الرحمة، وهو النِّقمة والعذاب، فمَن أراد الرَّحمة والخير والفلاح والظَّفر في كل ما يَسُرُّه، فعليه بتقوى الله =

....

= وطاعة الله ورسوله، ومن أراد الهلاك والدمار والنقمة والعذاب فعليه بمعاصي الله وركوب محارمه، نعوذ بالله من ذلك.

ثم أمر عباده المتَّقين المؤمنين بالمسارعة إلى أسباب المغفرة والجنَّة، فقال: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ الآيات، فالله سبحانه يَندُب عِبادَه ويأمرهم بهذه الأسباب التي تُفضي بهم إلى دار الكرامة ودار النَّعيم، فالمعنى: سارِعوا إلى أسباب المغفرة، فللمغفرة أسباب، وللجنة أسباب، فالله سبحانه يأمرهم بالمسارعة إلى أسباب المغفرة، وهي طاعة الله ورسوله، وترك محارم الله، وتلك هي أسباب المغفرة وأسباب الجنة.

ثم يبين سبحانه وتعالى من صفات المُتَّقينَ الذين أَعدَّ الله لهم الجنَّة والكرامة، فقال: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ أي: أُرصدت وهُيِّئت، فهي دارهم دار البقاء ودار النعيم ودار السرور، كما أن النار أُعدت للكافرين، وهي دار عذابهم ونكالـهم وشقائهم، فالجنة أُعدت =

....

= لأهل التقوى، وهي دار الرحمة، ودار الإحسان، ودار الرأفة، ودار النعيم، ودار الخير الدائم الذي لا ينقطع.

ومن صفات أهل التقوى، الذين أعدت لهم الجنة: أنهم ينفقون في السراء والضراء، أي: أنهم أهل إنفاق وإحسان في جميع الأحوال، في حال الشدائد، وهي حال الضراء، وفي حال الرَّخاء والعافية، وهي حال السراء، فنفقاتهم مستمرة، في حال الشدة وفي حال الرخاء، في حال الضرر وفي حال المسرة، فهم مُنفقون محُسِنون في جميع الأحيان وجميع الأحوال، لعلمهم بأن هذه النفقة ترضي الله جل وعلا، وتنفع عباده.

ثم من صفاتهم: كَظْمُ الغَيظ ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ لأنهم قد يُؤْذَون، وقد يمتحنون بما يضرهم، ولكنهم يكظمون الغيظ، أي: يتحملون الأذى، ولا يُنْفِذُونَ غيظهم بالانتقام؛ لأن من صفاتهم الغالبة كظم الغيظ، أي: كظم الغضب وعدم الانتقام، فيتحمَّلون الأسباب التي تُكدِّرهم وتغيظهم وتُسبِّب غضبهم، ويتصبرون رجاءَ ما عند الله سبحانه وتعالى من المثوبة، ولهذا قال: =

....

= ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ أي: يكظمون الغيظ ويعفون عمن آذاهم وأساء إليهم، فالغالب عليهم كظم الغيظ والعفو عن الناس، وهذه من صفات أهل الجنة، أهل الإيمان والتقوى.

ثم قال بعده: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ دلَّ ذلك على أنَّ الإنفاق في السَّرّاء والضَّرّاء وكَظْم الغَيظ والعفو عن الناس من صفات المحسنين، والله جلَّ وعلا يُحبُّ المحسنين.

فعليك يا عبدَ الله أن تحرص على أن تكون من المحسنين، وأن تكون من أهل هذه الصفات، التي هي صفات أهل التقوى، أهل الجنة والكرامة، وأن تكون منفقاً حسب ما أعطاك الله من المال، وإياك والبخل والشُّح، فإن عاقبته وَخيمةٌ.

فعليك أن تُعوِّدَ نَفسَكَ، وأنْ تُجاهِدَها أبداً حتى تكون من المنفقين في السَّراء والضَّرّاء، والإنسان قد يكون جَواداً وكريماً، وإن كان ماله قليلاً، فقد يجعل الله في نفسه الغنى والخير، ويجعل في نفسه الجود والكرم، ولو بالأشياء القليلة حسب طاقته، فيعطي الفقير والمسكين مما أعطاه الله، ولو الشيء القليل، فدرهمٌ من مال =

....

= قليل له محل عظيم عند الله، كالمئة والآلاف من المال الكثير.

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ﴾ بأي نوع من أنواع الظلم ﴿ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾، وهذه من صفات أهل التَّقوى أيضاً، أنهم إذا فعلوا شيئاً من الفواحش أو المعاصي التي حرَّمها الله ـ وسُمِّيت فواحش لقبحها، فهي مستفحشة وقبيحة في عرف أهل البصيرة وأهل النفوس الزكية الطيبة ـ فيَستَفحشُونَها، ويعتبرونها قبيحة، كالزِّنى، واللواط، وقتل النفس بغير حق، وعقوق الوالدين، وقطيعة الرحم، والربا، وظلم العباد ـ بأنواع الظلم ـ ونحو ذلك، فكل هذه فواحش مستقبحة عند ذوي الفطر السليمة، نفوس أهل البصيرة والعقول الصحيحة والمروءة، فيستفحشونها ويستقبحونها وإن كان فيهم من الكفر والضلال ما فيهم.

﴿ أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ﴾ أي: بشيء من أنواع الظلم، ولو بالمعاصي التي هي خَفيَّة في نفسها، وقد لا يظهر فُحشُها لكل أحد، فهم حَذِرونَ من كل أنواع المعاصي، فالمُستَفحش: الظاهر البيِّنُ =

....

= منها، وكذلك غيره من سائر أنواع المعاصي وأنواع الظلم، وسواء أكان ذلك لأنفسهم أم كان لغيرهم، فهم حذرون من أنواع الفواحش والمنكرات بعيدون عنها، فهم يحذرونها ويبتعدون عنها، ومتى وقع أحدُهم في شيء منها بادر بالتوبة والاستغفار والندم على ما صدر منه، ولهذا قال: ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ أي: ذكروا عظمته، وكبرياءه، واستحقاقه العبادة والطاعة، وأنه لا يليق بالعبد أن يعصيه سبحانه وأن يقع فيما يُغضبُه جلَّ وعلا، فذكروا أنه المحسن المنعم الخالق المتفضل، فهو جدير بالتعظيم، وجديرٌ بالشكر، وجدير بالطاعة.

فإذا ارتكبَ العبدُ شيئاً من معاصيه وما يُوجبُ غَضبَه فهو جدير بأن يُبادرَ ويُسارع بالتوبة والندم والاستغفار، قبل أن يحل به من العقوبة ما يضره، ويسبب بُعْدَه عن الله ودخوله سجن العذاب وسجن أهل الفساد من النار.

﴿وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي: وهو يعلم ويؤمن بأنه لا يغفر الذنوب إلا الله سبحانه وتعالى، والمعنى بيان أنه لا =

....

= غافر للذنوب سوى الله جل وعلا، فهو استفهام معناه النفي.

﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي: بل يُقلِعونَ ويَتخلَّونَ عن سائر المعاصي؛ ندماً وتوبة وحذراً من غضب الله جلَّ وعلا، وعزماً صادقاً على ألا يعودوا إلى ذلك، والمُصِرُّ: هو الذي يُقيمُ على المعصية ولا يُقلعُ عنها، ولا يندم عليها، ولا يَعزِمُ على تَركِها، فهذا يسمّى مُصِرّاً، أي: مُقيماً، فأَصَرَّ على كذا، أي: أقام عليه.

فأهل التقوى لا يُصِرُّونَ على الذُّنوب، بل إنَّ ما عندهم من خوف الله وتعظيمه يمنعهم من ذلك، فلهذا إذا تابوا، تابوا توبة صادقة، فيها الندم، وفيها الإقلاع عن الذنوب، وفيها العَزمُ الصادق على عدم العود في الذنوب، ولهذا يستحقون من الله المغفرة وقبول التوبة.

ولهذا قال بَعدَه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ هذا جزاء من بادر بالتوبة والندم والإقلاع ـ أن يجازيه الله بالمغفرة لذنوبه، ويجازيه أيضاً بإدخاله الجنة وإنجائه من النار؛ لأنها توبة =

....

= صادقة، معها العمل الصالح.

فالذي لا يُصِرُّ على المعصية، ويستقيم على طاعة الله، ويستمر فيما يُرضيه مع ندمه وإقلاعه من المعاصي، وعزمه ألا يعود فيها، فهذا استحق الجزاء بالأمرين: بالمغفرة للذنوب؛ لكونه تاب منها وندم، وبالجنة؛ لكونه استقام على أعمال أهلها، واستمر في طاعة المولى جلَّ وعلا، فجزاه الله بالأمرين، والله جل وعلا أعلم.

obeikandl.com